الباب الخامس

مواقف المنظمات الدولية تجاه قضية فلسطين

مواقف المنظمات الدولية تجاه قضية فلسطين

موقف بريطانيا من قضية فلسطين:

إن بريطانيا هي التي تبنت المشروعَ الصهيونيَّ فأصدرتْ في نوفمبر ١٩١٧م وعد «بلفور» بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتَمَكَّنَتْ من إتمام احتلالها لفلسطين في سبتمبر ١٩١٨، وتَنَكَّرَتْ لوعودها للعرب بزعامة الشريف حسين بالحريّة والاستقلال، وقسَّمَتْ دوائرَ النفوذ في بلاد الشام والعراق بينها وبين فرنسا وفقَ اتفاقيّات «سايكس – بيكو» مايو ١٩١٦م التي خَطَّطَتْ لجعل فلسطين منطقة دوليّة، ثم إنّ بريطانيا استَأْثَرَتْ بفلسطين وفقَ اتفاقيّات «سان ريمو» (أبريل ١٩٢٠م)، وتَمَكَّنَتْ من إدماج «وعد بلفور» في صكّ انتدابها على فلسطينَ الذي قرَّرَتْه لها عصبةُ الأمَم في يوليو ١٩٢٢م.

فتَحَتْ بريطانيا خلالَ احتلالها لفلسطين ١٩١٨-١٩٤٨م الأبوابَ للهجرة اليهودية فتَضَاعَفَ عددُ اليهود من ٥٥ ألفًا سنة ١٩١٧ إلى ٦٤٦ ألفًا سنة ١٩٤٨م (أي من ٨٪ من السكان إلى ٣١٪) كما دَعَّمَتْ تَمَلُّكَ الأراضي ؛ فتَزَايَدَتْ ملكيةُ اليهود للأرض من نحو نصف مليون دونم (٢٪ من الأرض)، إلى نحو مليون و ٨٠٠ ألف دونم (٦،٧٪ من أرض فلسطين)، تَسَرَّبَتْ إلى اليهود في الغالب من الحكم البريطاني أو من أيدٍ غير فلسطينية، وتَمَكَّنَ شعبُ فلسطين رغمَ قَسَاوَةِ الظروف والمُعَانَاة من الصمود في أرضه طيلة ثلاثين عامًا مُحْتَفِظًا بأغلبيّة السكان ٦٩٪ وبمُعْظَم الأرض ٩٣،٣٪، وقد تَمَكَّنَ اليهودُ تحت حماية الحراب البريطانيّة من بناء مُؤَسَّسَاتِهم الاقتصاديّة والسياسيّة والتعليميّة والعسكريّة والاجتماعيّة. وفي سنة ١٩٤٨م كانوا قد أسَّسُوا ٢٩٢ مُسْتَعْمَرَةً، وكَوَّنُوا قوات عسكريّة من «الهاغاناه» و«الأرغون» و«شتيرن» يزيد عددُها عن سبعين ألف مُقَاتِل، واستعدُّوا لإعلان دولتهم .

رغم أن المؤامرةَ على فلسطين كانت أكبرَ بكثير من إمكانات الشعب الفلسطيني، إلا أن شعب

فلسطين رَفضَ الاحتلالَ البريطانيَّ والمشروعَ الصهيونيَّ، وطالبَ بالاستقلال، وقامت التيّارات الوطنيّةُ والإسلاميّةُ بزعامة الحاج المفتي أمين الحسيني (١٣١١- ١٣٩٤هـ = ١٨٩٣-١٩٧٤م) بالتعبئة الشعبية والتحركات السياسية والثورات العارمة؛ فكانت ثوراتُ القدس ١٩٢٠م، ويافا ١٩٢١م، والبراق ١٩٢٩م، وأكتوبر ١٩٣٣م، و«حركة الجهادية» بقيادة القسّام (محمد عزّالدين القسّام ١٣٠٠-١٣٥٤هـ = ١٨٨٢-١٩٣٥م) و«عصابة الكف الأخضر» ومنظمة «الجهاد المقدس». وتحت ضغط الثورة الكبرى ١٩٣٦-١٩٣٩ اضطرّتْ بريطانيا في كتابها الأبيض (مايو ١٩٣٩م) أن تَتَعَهَّدَ بقيام الدولة الفلسطينيّة خلالَ عَشْر سنوات وأن تُوْقِفَ بيعَ الأرض لليهود، وأن تُوْقِفَ الهجرةَ اليهودية بعد خمس سنوات؛ ولكنّها تَنَكَّرَتْ لالتزاماتها في آخر ١٩٤٥م، وعادت الحياةُ للمشروع الصهيونيّ من جديد برعاية أمريكية .

في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧م أصدرت الجمعيةُ العامّةُ للأمم المُتَّحِدَة قرار رقم ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية (نحو ٥٤٪ للدولة اليهودية، و٤٥٪ للدولة العربية، و١٪ منطقة دولية «منطقة القدس»). وقرارات الجمعيّة العامة ليست قراراتٍ مُلْزِمَة حتى ضمنَ مواثيق الأمم المتحدة نفسها، والقرارُ نفسُه مخالفٌ للأساس الذي قامت عليه الأممُ المتحدةُ، وهو حقُّ الشعوب في الحرية وتقرير مصيرها بنفسها، ثم ان الشعب الفلسطيني المعنيَّ أساسًا بالأمر لم تُتِمَّ استشارتُه ولا استفتاؤُه. فضلاً عن الظلم الفادح في إعطاء الأقلية اليهودية الدخيلة المُهَاجِرة الجزءَ الأكبرَ والأفضلَ من الأرض.

أعلن الصَّهَاينَةُ دولتَهم «إسرائيل» في مساء ١٤ مايو ١٩٤٨م، وتَمَكَّنُوا من هزيمة الجيوش العربية التي مَثَّلتْ نموذجًا لسوء القيادة وضعف التنسيق وقلة الخِبْرَة، ووقوع عددٍ منها تحت النفوذ الاستعماري، واسْتَوْلى الصهاينةُ على نحو ٧٧٪ من أرض فلسطين، وشَرَّدُوا بالقوة ٨٠٠ ألف فلسطيني خارجَ المنطقة التي أقاموا عليها كيانَهم من أصل ٩٢٥ ألفًا كانوا يسكنون في هذه المنطقة، ودَمَّرُوا ٤٧٨ قرية فلسطينيّة من أصل ٥٨٥ قرية كانت قائمة في المنطقة المُحْتَلّة، وارتكبوا ٣٤ مجزرةً. أما بالنسبة لما تَبَقّىٰ من فِلَسْطِينَ فقد قامت الأردنُ بضمّ الضَفَّة الغربية رسميًا إليها (٥٨٧٨كم٢) كما وَضَعَتْ مصرُ قِطاعَ غَزَّةَ (٣٦٣كم٢) تحت إدارتها، وقد وَافقتْ الأممُ المتحدةُ على دخول الكيان الصهيونيّ «إسرائيل» في عضويّة «الأمم المتحدة» بشرط السَّماح بعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى أرضهم، وهو ما لم يَفْعَله الكيانُ الصهيونيُّ مُطْلَقًا(١)

(١) فلسطين في انتظار ...ص: ٦٥.

قضاةُ المَحْكَمَة الدوليّة باستثناء القاضي الأمر يكيّ يجدون إسرائيلَ في انتهاك صارخ للقانون الدوليّ في بناء الجدار

أقرَّتْ محكمة العدل الدوليّة في «لاهاي» في هولندا بجميع قضاتها باستثناء القاضي الأميركي وبعد ١٣٦ يومًا من المداولات، أن إسرائيل تنتهك بشكل صارخ القانونَ الدوليَّ في بنائها جدارَ الفصل الذي تقيمه في عمق الضفة الغربية المحتلة، وطالبَتْها بوقفِ البناء فيه وهدمِ ما شُيِّد منه حتى الآن.

كما دَعَتْ إسرائيلَ إلى دفع تعويضات للفلسطينيين الذين تَضَرَّرُوا بسبب بنائه.. ورَفضَ جميعُ القضاة الـ ١٥ بمن فيهم الأميركي إدّعاءاتِ إسرائيلَ بأنها أي المحكمة لا تتمتع بصلاحيّات النظر في شرعيّة الجدار، ومزاعمَها بأنه كان ضروريًّا لاعتبارات أمنية.. ودعا القضاةُ، من بينهم قاضيان عربيّان من مصر والأردن، في مُلخّص قرارهم الأمَم المتحدةَ إلى بحث الخُطوَات التي يجب اتخاذُها «لإنهاء الوضع الذي لا يُحتَمَل والناتج عن بناء الجدار وتعزيز وجودِ الشرطةِ جراءَ ذلك، وأخذِ رأي المحكمة بعين الاعتبار».

ودعا القرارُ الأممَ المتحدةَ ، خاصّة الجمعيّة العامّة ومجلسَ الأمن، إلى النظر في الإجراء المطلوب عمله لوضع حدّ للوضع غير القانونيّ الناجم عن إقامة الجدار، آخذين بعين الاعتبار* الرأيَ الاستشاريَ هذا.

من جانبها، رفضت إسرائيلُ كما كان مُتَوَقعًا حكمَ المحكمة جُمْلةً وتفصيلاً.. وأكّدَتْ كما كان مُتَوَقّعًا أيضًا أنها لن تلتزم به بأي شكل من الأشكال.. ويأتي قرارُ المحكمة الدوليّة بناءً على قرار اتخذته الجمعيةُ العامّةُ للأمم المتحدة في ديسمبر ٢٠٠٣/٨م، يطالب المحكمة بموجب البند ٦٥ من دستور المحكمة لتقديم رأيها الاستشاريّ حولَ السؤال التالي: «ما هي العواقب القانونية الناجمة عن إقامة الجدار الذي تبنيه إسرائيلُ «القوة المحتلة» في الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدسُ الشرقية، كما جاء في تقرير الأمين العام، بموجب أحكام ومبادئ القانون الدولي بما فيه معاهدةُ جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م وقراراتُ مجلس الأمن الدولي والجمعيةُ العامّة ذاتُ الصلة .

وبناءً على ذلك ووفقَ ما جاء في حيثيّات القرار الذي ورد في ٦٨ صفحة: (بإجماع القضاة الـ ١٥) وجدتِ المحكمةُ وخلافًا للادّعاءات الإسرائيليّة والأميركية وبعض الدول الأوروبيّة، أن من صلاحياتها القانونيّة إعطاءُ الرأي الاستشاريّ المطلوب .

(بموافقة ١٤ قاضيًا واعتراض القاضي الأميركي بيرغينثال) قرَّرَتِ المحكمةُ تلبية طلبِ تقديم الرأي الاستشاريّ.

(١٤ ضد١) أن إقامة الجدار الذي تبنيه إسرائيلُ الدولةُ المحتلةُ، فوقَ الأراضي الفلسطينية المحتلة بما فيها القدسُ الشرقيةُ ومحيطُها، تُشَكِّلُ انتهاكاً للقانون الدوليّ .

(١٤ ضد١) أن إسرائيل مُلزَمَةٌ بالتوقف عن انتهاك القانون الدوليّ، وهي بذلك مُلزَمة بوقف العمل في إقامة الجدار الذي تبنيه في الأراضي الفلسطينية المحتلة، بما في ذلك داخل القدس الشرقية وحولها، وهدم ما بني منه.

(١٤ضد١) إسرائيل مُلزَمَةٌ بدفع تعويضات عن جميع الأضرار الناجمة عن إقامة الجدار في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، بما في ذلك في القدسُ الشرقيةُ ومحيطُها.

(١٣ مع، و ٢ ضد، هما الأميركي والهولندي) أن جميع الدول مُلزَمَةٌ بألا تعترف بالوضع غير القانوني الناجم عن إقامة الجدار ويجب ألا تُقدِّم الدعمَ الماليَّ أو المساعدةَ في الحفاظ على الوضع الناجم عن إقامة الجدار.. وعلى جميع الدول المُوَقِّعَة على معاهدة جنيف الرابعة (١٢ أغسطس (آب) ١٩٤٩م) المتعلقة بحماية المدنيين في أوقات الحرب، أن تضمن في الوقت الذي تحترم فيه ميثاقَ الأمم المتحدة والقانونَ الدولي، التزامَ إسرائيل بالقانون الإنسانيّ، كما هو مُجَسَّدٌ في المعاهدة .

(١٤ ضد١) على الأمم المتحدة وخاصة الجمعيّة العامة ومجلس الأمن، أن يُفكّرا في الإجراء المطلوب عملُه لوضع حدّ للوضع غير القانوني الناجم عن إقامة الجدار، آخذين بعين الاعتبار الرأيَ الاستشاريَّ هذا .

(١٤ ضد١) أن الجدارَ في مساره المختار، يَسلُبُ عددًا من حقوق الفلسطينيين المقيمين في الأراضي التي تحتلها إسرائيلُ .. وأن الانتهاكات الناجمة عن مسار الجدار لا يمكن تبريرُها بأغراض عسكريّة طارئة أو أمن قوميّ أو نظام عامّ .

(١٤ ضد١) أن إسرائيلَ مُلزَمَةٌ بأن تُنفّذ تعهداتِها باحترام حق الفلسطينيين في تقرير المصير وبالتزاماتها بموجب القانون الإنساني الدولي وقانون حقوق الإنسان الدولي. والأهم من ذلك يجب أن تضمن حرية الحركة ودخول الأماكن المقدسة الخاضعة لسيطرتها.

الأمم المتحدة تتبنى بأغلبية قرارًا بهدم الجدار العنصري:

تبنّت الجمعية العامة للأمة المتحدة ليلة الأربعاء (٢٠٠٤/٧/٢١م) الموافق ١٤٢٥/٢/٣٠هـ مشروعَ القرار العربي – الفلسطيني، الذي يدعو إلى تَبَنّي الرأي الاستشاري الصادر عن محكمة العدل الدولية في «لاهاي» في التاسع من الشهر الجاري، والقاضي بإلزام الكيان الصهيوني بهدم الجدار العنصري الفاصل الذي تقيمه على الأراضي الفلسطينية، باعتباره غيرَ مشروع، ويخرق القوانين والمعاهدات

الدولية . وقد جاء القرار بأغلبية ١٥٠ صوتًا، و ٦ أصوات مُعَارِضَة، وامتناع عَشَرَة أصوات عن التصويت. ويطلب مشروعُ القرار من الجمعية العامة الضغط على الكيان الصهيوني ليمتثل لفتوى محكمة العدل الدولية الصادرة الأسبوعَ الماضيَ بعدم شرعية الجدار وضرورة إزالته.

الانتخابات الفلسطينية وسلوك العالم مع النتائج:

الانتخابات في فلسطين كانت أيضًا خديعة من الخدائع؛ حيث قالوا لا بدّ من أن تكون في أراضي السلطة وفي فلسطين انتخابات نزيهة ترعاها الرُّباعِيَّة. والحقيقةُ التي يجب أن تُعرف لمن قَرَأَ التاريخَ المعاصرَ أن مأساة فلسطين لم تبدأ بفوز هذا أو ذاك؛ بل هي مسيرةُ ظلم عَانَاهُ الفلسطينيون خلال أكثر من مائة سنة، وبكل خُبْث جعلوا الحكومة الجديدة مع كل التحديات والأعمال التي تُوَاجِهُهَا في أصْعَبِ وأطْوَلِ قضيّة في العالم المُعَاصر.. جعلوها تنشغل في مشكلة كَيف ستوفر رغيفَ الخبز للملايين.. وكيف توفر الأمنَ والأمانَ لمُوَاطِنِيها وتمنع سفكَ الدماء الذي تدفع له أطرافٌ عِدَّة .

فأين القانونُ الدوليُّ والنظامُ العالميُّ بكل مُؤَسَّسَاته من حكومة مُنْتَخَبَة يُسْجَن وزراؤُها، ويُعتقل رئيسُ مجلسها التشريعي ونائبُ رئيس الوزراء، ويُهَدَّد رئيسُ وزرائها بالقتل؟! أهكذا تكون رعاية الديموقراطية في المنطقة؟! أهذا هو «الشرق الأوسط الجديد» الذي بُشِّرَتِ المنطقة به؟!! ولماذا شكلوا لجانَ مراقبة الانتخابات وأتعبوهم في رعايتها؟! إن كانوا يعلمون أن من انتُخب منهم سيُزَجُّ به في السجن ويُسْلَب حريتَه وكلمتَه؟! ولماذا لم نَسْمَعْ منهم كلمة استنكار أو وقفة قانونية أو إنسانيّة على الأقل؟!! ولعلَّ الجوابَ الوحيدَ «كلُّهم مُشَاركون في الجريمة»!!

في ٢٠٠٦/١/٢٥م (الأربعاء: ١٤٢٧/١٢/٢٤هـ) جَرَتْ انتخاباتُ المجلس التشريعي الفلسطيني، فازَتْ فيها «حماس» (حركة المقاومة الإسلامية) بأغلبيّة سَاحِقَة؛ ولكنَّ أمريكا وإسرائيل والمُجْتَمع الدوليّ حالت دونها ودون أن تُمَارِسَ الحكمَ، وضَرَبَتْ في ذلك عُرْضَ الحائط جميعَ المبادئ الديموقراطيّة التي تُطَبِّل لها وتُنَادِي بها، مما أكَّدَ أنها لاتؤمن بها ولا تَسْمَح لها بأن تَتَحَقَّق إلا إذا أدَّتْ إلى تحقُّق مصالحها. أمّا إذا وَجَدَتْها تَعْتَرِض سبيلَ مصالحها؛ فإنّها تَرْفُضُها تمامًا، وتَقْذِف بها في سَلَّة المُهْمَلات. إنّ أمريكا وإسرائيلَ والدولَ الدائرة في فَلَك أمريكا لن ترجوَ من «حماس» الإسلامية ما ترجوه من «فتح» العلمانيّة؛ من هنا زَرَعَتْ في سبيلها العراقيلَ. وعندما شَكَّلَتِ الحكومة، امتنعتْ عن دفع أيّ دولار من المُسَاعَدات التي كانت تُغْدِقُها على «فتح» كما امتنعتْ إسرائيلُ عن تقديم مَبَالِغ الضَّرَائب التي ظلّ يدفعها الشعب الفلسطيني لصالح سُلطته وإدارته، وجَمَّدَتْها لديها في البنوك؛ حتى

ينسدّ الطريقُ أمام حماس من قلّة الإمكانيات، فتَنْزَعِج وتنسحب من الحكم والسلطة اللذين وَصَلَتْ إليهما بالتصويت الشعبيّ الحاسم لصالحها. الأمرُ الذي أكّدَ للأصدقاء والأعداء معًا أن الشعبَ الفلسطينيَّ لا يُحِبّ إلا الإسلامَ ولا يَرْضَى لتحرير فلسطين ولتقرير مصيره إلاّ طريقَ المُقاوَمَة والنضال، وتَرْفُضُ طريقَ السلام والاستسلام الذي ما جَنَىٰ منه إلا ثمارًا مُرَّة للغاية.

وقد صَدَقَ الدكتورُ محمد أبوحشيش / الوكيل المساعد بوزارة الإعلام الفلسطينية في حكومة «حماس»، إذ قال: إن كلَّ المُعْطَيَات والدلائل تشير إلى أن أية حكومة تعرّضت لأقل من نصف ما تعرضت له هذه الحكومة لابد أن يكون الفشل الفوريّ والسريع هو مصيرَها، ومن المُفْتَرَض ألا تمكث لا شهرًا ولا ثلاثة أو ستة أشهر، ولكن نظرًا لأن الحكومة الفلسطينية العاشرة تستند إلى قاعدة شعبيّة وجماهيريّة واسعة، ولكونها خرجت من رحم المعاناة والجماهير، ولم تُفْرَض بالقوة، ولم تأتِ على ظهر دبابة، فإنها ضَرَبَتْ نموذجًا مُشَرِّفًا في الصمود والصبر والإصرار على خدمة الرأي العام رغمَ ما تتعرض له يوميًّا من حصار خارجيّ شامل، وتحركات داخلية متنوعة ومتصاعدة، وتشويه إعلامي ركناه: الإفك والكذب، والتخاصم مع الأخلاق والقيم والوطنية والمسؤولية الاجتماعية. وهذه زاوية جديدة لأجلها تستحق الحكومة كظاهرة سياسية الدراسة والتوثيقَ بجانب غرابة وتنوع المؤامرة منذ اللحظات الأولى .

إن الإصرار الحاصل من قبل الحكومة بقيادة حماس لم يكن ركوبًا للرأس، وعنادًا فارغاً، وتمسكاً بالمناصب، ولم يكن مصحوبًا بصمت وعجز وندب حظّ كما يشاع ويُرَوَّج، بل كان مقرونًا بعمل دؤوب في ظل أسوأ الظروف، وأحلكها وأعقدها. وأعتقد أن حماس من خلال أداء وزرائها وطواقمهم حققت إنجازات استراتيجيّة لصالح القضية الفلسطينية، واعْتَرَفَ بها كلّ من نظر بإنصاف لهذه المرحلة ، سواء كان مُؤَيِّدًا لحماس أو مُعَارِضًا لها. وذلك بجانب العمل اليومي البسيط الذي نقل الوزارات من مرحلة إلى مرحلة، ومن طور إلى طور، حتى لو أنكر الأمرَ بعضُ الجهات الناكفة داخل الوزارات.

ومن أهم هذه الانجازات الاستراتيجية ما يلي:

١- عَرَفَتْ وعَرَّفَتِ الرأيَ العامَّ على الأوضاع الإدارية الخطأ داخل الوزارات، وآليّات الترقيات والتعيينات، والبعد عن الخبرات والشهادات والكفاءات، والاعتماد على الفصائلية في التعيينات، الأمرُ الذي أثقل كاهلَ الميزانية العامة ورَهِلَ – استرخى – الجسمُ الحكوميّ الوظيفيّ.

٢- كَشَفَتْ وعَرَّتْ سوءات الدعم الماديّ من قبل المُجْتَمَع الدوليّ، وأثبتَتْ أنه كان بثمن سياسيّ باهظ وعلى حساب الكرامة والولاء والتبعية والمواقف والثوابت الوطنية العامة.

٣- زادت من تعرية العلاقة الأمنيّة والاقتصاديّة مع الكيان الإسرائيليّ، ومن سوء الاتفاقيات المُوَقَّعَة، وعلاقةِ بعض الأشخاص الشخصيّة مع الاحتلال.

٤- ضَرَبَتْ نموذجًا جديدًا في المنطقة لوصول الإسلاميّين والحركة الإسلاميّة للحكم، وإثبات القدرة على الإدارة والمشاركة في الحياة العامة في أعلى درجاتها بشكل يَخْدِمُ المُوَاطِنَ ولا يَخْدِش الثوابتَ.

٥- خَلقتْ معادلة جديدةً في التعامل مع الاحتلال، وأوقفت الابتزاز فيه والارتهان له مقابلَ لقمة العيش وامتيازات سطحيّة هنا وهناك، وأثْبَتَتْ أنه بالإمكان القول: لا للعدو والصمود على ذلك.

٦- أوقفتْ حالة الفساد وإهدار المال العامّ داخلَ المؤسسة الحكوميّة ، من خلال قرارات عديدة في هذا الشأن، وخاصة تقليص الامتيازات الذاتية للمسؤولين .

٧- كانت قدوةً حسنة من خلال رئيس وزرائها ووزرائها الذين يعيشون في بيوتهم داخلَ أحيائهم ومُخَيَّماتِهم، ويُصلّون مع الناس في مساجدهم، ويخطبون بهم؛ فلأول مرة يلمس المواطن رئيسَ وزراء يعيش ببساطة بيته، حتى الإجراءات الأمنية البسيطة التي فرضتْها سوءُ النوايا والمخططاتُ القذِرَة لم تُعِقْ سهولة الاتصالَ والوصولَ والمعايشة مع رئيس وأعضاء الحكومة. وهذا لم يكن في الحكومات التسع الماضية.

وهكذا تعيش الحكومة العاشرة وقد سَجَّلَ التأريخُ صفحاتِها وهي تُصَارِعُ المؤامرةَ والإسقاطَ والإفشالَ بكلّ مسؤوليّةٍ وإصرارٍ وصبرٍ وحكمةٍ تارةً، وحزم تارةً أخرى، لتُصبح لنا فلسفة حكمٍ بثوبٍ جديدٍ، وباستراتيجياتٍ جديدة – سياسات جديدة – كلها تُصَبُّ في بعد النظر للشعب الفلسطيني، ولكنها تحتاج إلى وطنيين لاستغلالها والبناء عليه.

ولمْ تَكتَفِ إسرائيلُ وأمريكا بالمعارضة السياسيّةِ والتخطيطيّة والتكتيكيّة، وإنما حَرَّضت أمريكا إسرائيلَ على تكثيف الهجوم العسكريّ على قِطاع غزة، لإزعاج حماس؛ حتى تتخلى عن الحكم لصالح «فتح» التي تُحِبّها هي – إسرائيل – وتحبها أمريكا وجميعُ الدول العربيّة الدائرة في فلكها، وجميعُ دول أوربّا؛ لكونها مُعَبَّدَة وعميلة لأمريكا وإسرائيل، ومُتَطَوِّعَةٌ لتحقيق مصالحهما. واحتلّت إسرائيلُ عددًا من مُدُن غَزَّة عدّة مرّات، وكانت مدينتا «رفح» و«خان يونس» من أكثر المناطق تعرُّضًا للتوغّلات الإسرائيلية المستمرة، كما تعرّضتْ لها مدينة «بيت حَانون» حيث أعادت قواتُ الاحتلال احتلالها عدّةَ مرات خلالَ الانتفاضة الثانية الحالية، وكان آخرها يومَ الأربعاء: ١/١١/ ٢٠٠٦م (٨/شوال

١٤٢٧هـ).([٢])

مؤتمر الكومنولث وخطوة إيجابية

نُحبِّذ ما اتخذه مؤتمر الكومنولث (Commonwealth) من خطوات عمليّة ضد أفريقيا الجنوبيّة، لإرغامها على الانتهاء من سياسة العنصريّة الخبيثة اللاإنسانية وسياسة العُنْف التي تَتَبعُها ضدّ أغلبيتها السوداء من قاطنيها العريقين..

تتضمن هذه الخطوات – التي اشترك في اتخاذها ٤٩ من حكام دول الكومنولث – فرضَ الحصار على الديون، والحظر على تصدير عُمُلات أفريقيا الجنوبيّة الذهبيّة، وإيقاف التعامل التكنولوجيّ والنوويّ معها، وجميع أوْجُه التعاون العسكريّ، والحظر على جميع صور المعاملة التجاريّة وقطع العلاقات الجويّة معها.. وما إلى ذلك..

وإذا كان أحدٌ أحقَّ بالقيام بتحبيذ تنفيذ إجراءات رادعة ضد عدوان يَحْصُلُ في أيّ جزء من أجزاء العالم البشريّ، فإنّه المسلم الذي عَلَّمَه دينُه أن يُوْقِف الشرَّ بيديه أو بلسانه ، أو يستقبحه في نفسه، ولا يسكتَ دونَه في حال من الأحوال؛ فانطلاقًا من قاعدة ديننا الحنيف الذي جاء يقضي على جميع صُوَر الشرّ والسلبيات والظّلام في الكون، نُحَبِّذ بملء أفواهنا هذه الخُطُوَات ونُشِيْدُ بها بكلّ مشاعر قلوبنا.

ولكنه لو كان هناك في السياسة التزامٌ أو أخلاقيّات أو كان في قاموسها كلمة تُعْطي معنى الاحتراز من التضاربات والمفارقات، لحَقَّ لنا أن نطالب بفرض مثل هذا الحصار على أكبر إرهابيّ يُمَارس أسوأ عدوان في العالم المعاصر، ألا وهو إسرائيلُ التي لاتَقِلّ جريمتُها عن جريمة حكّام أفريقيا الجنوبيّة، بل تَبُذُها بالتأكيد من جميع اعتبارات الكمّ والكيف .

ولكن إسرائيل أجدر بهذا الحصار

إن إسرائيل أجدر بهذا الحصار، وبكلّ نوع من المقاطعة من أفريقيا الجنوبيّة، فليست مظلوميّةُ الشعب الفلسطيني، وذلُّ الإنسان العربيّ والمسلم في منطقةِ ما يُسَمَّىٰ إجحافًا وتعتيمًا «بالشرق الأوسط» أقلَّ من الاعتداء والظلم والعدوان الذي يلاقيه الشعبُ الأفريقي الأسود علَى أيدي حكّامه من ذوي الجلود البيضاء والقلوب السوداء.

ولكن يبدو كأن الشعب الفلسطينيَّ ليس من نوع الإنسان الذي يستحقّ العطفَ والمواساةَ، وكأنه ليس له من نوع العطف إلا كلماتُ الشجب والاستنكار الرنّانة التي يُطلِقُها الشرقُ بصوت عال مِلؤُه النفاقُ والغربُ بصوت خافت ذي غموض يَشِفُّ عن الخبث ودناءة الضمير ولايكون نصيبُ كلمات

([٢]) فلسطين في انتظار....٨٥ـ ٩٠

الشجب والاستنكار هذه هي الأخرى، إلا أن تعود مسحوقة بالفيتو الأمريكي.

أعود لأقول: إن الأجدر بفرض الحصار الاقتصاديّ والسياسيّ والثقافيّ والعلميّ، إنما هو جميعُ القوى الشريرة في العالم المعاصر، سواء أكانت «أمريكا» أو «روسيا» أو غيرها؛ لأنها هي التي في الواقع تُصَدِّرُ العدوانَ والإرهابَ والعُنْفَ إلى جميع مناطق المعمورة، وتُشْرِف على مسيرته، وتجعله يُعطي مفعولَه الأمَرَّ الذي أقضَّ مَضجعَ المجتمع البشري..

«أمريكا» الواقفة بجانب أكبر إرهابيّ – إسرائيل – في دنيا البشر، و«روسيا» المُمَارسة لأسوأ أنواع الاستعمار الدامي في العالم اليوم أحقُّ بكل صنف من المُقاطعَة، ولطالبْنَا بذلك إذا كان هناك هيئة دولية تَعرِفُ ولو ذرةً من العدل والحياد وعدم الانحياز.!!

لقد أعذر من أنذرك أيها العرب! (٣)

العدوان الإسرائيليّ الأخير على جنوب لبنان، ليس عُدْوَانًا أوّلَ أو آخرَ ضدَّ العرب والفلسطينيين وضدَّ المسلمين؛ وإنما هو امتدادٌ للعدوان المستمر المُخَطَّط الذي يُنَفَّذ وسيظل يُنَفَّذ في «الوقت المناسب» وعلى «المستوى المناسب» وفي «المكان المناسب».. وما دامت إسرائيلُ زُرِعَتْ في قلب الأراضي العربية الإسلامية على أساس متين وقرار مكين من العدوان والإرهاب، وما دامت طينتُها معجونة بالجرائم والعدوان والإرهاب، وقتل الأنبياء والصالحين ، حتى لُعِنَتْ ومُسِخَتْ قردةً وخنازير؛ فلا غرابة في أن تُنَفِّذ أية جريمة إرهاب وعدوان وبأيّ حجم وفي أية لحظة من لحَظات النهار والليل وفي أية فترة من فَتَرات الأسابيع والشهور والسنة.. والرجاءُ – مُجَرَّدُ رجاء آنيّ أو دائمٍ* – في أنها ستتوقف عن العدوان والإرهاب والوحشية، هو رجاءٌ لايرجوه إلا الغبيُّ الأحمقُ الذي يرجو أن ينتهي الأسدُ عن سيرة الافتراس، والفأرُ عن عادة القرض، والحيّةُ عن طبيعة اللدغ، والشيطان عن لعنة التضليل!!. والذي يؤمن بأنها سترضى في الواقع وعن إخلاص بـ«تطبيع العلاقة» بينها وبين العرب، أو تقبل «التعايشَ السلميّ» بينها وبينهم، أو ترضى في الواقع «بالسلام مقابل الأرض» أو مجرد السلام بدون أيّ مقابل؛ هو كمثل من يعتقد أنه سيقبض شعاعَ الشمس ويستدفيء بالبرد ويَستَبْرد بالنار، أو أن جبال «هملايا» ستزول عن مكانها في مساء اليوم.

والذي يثق بأن «أمريكا» أو «بريطانيا» أو «فرنسا» أو «ألمانيا» أو غيرها من الدول الأوربية أو كلها بالمجموع، أو «الأمم المتحدة» أو «مجلس الأمن» أو «اليابان» أو «الصين الشعبية» أو «روسيا» المنافقة ستَرْدَعُ اليوم أو غدًا أو في أيّ يوم من الأيام الممتدة إلى قيام الساعة إسرائيلَ المطبوعة على الجرائم والمُقامَة على العدوان والإرهاب، والمُؤَيَّدَة من جميع دول القوى الإرهابية العدوانية: ستَرْدَعُها عن خبثها وعن شرّها.. الذي يثق بذلك فهو نوعٌ شاذٌ من الحَمْقىٰ ربّما خَلَقَه الله عزّوجل – ولله في خلقه شؤون – ليَعْلم الإنسان المعاصر أنّه تعالى قادر على خلق نوع حديث أسوأ من أنواع الحُمْق لم يُجَرِّبه البشر في تأريخه الماضي الطويل ،كقدرته على خلق أنواع حديثة من الأمراض التي لم يَعْرفها الأطباء النّطاسيّون* في الماضي مثل مرض «الإيدز» وغيره.

واللجوءُ إلى ما يُسَمَّىٰ بـ«الأمم المتحدة» لحلّ القضايا العربية الإسلامية هو في الواقع لجوءٌ إلى الأبالسة لكسب الصلاح وتهذيب النفس، وإلى الشياطين لاستجداء الهداية منها، وإلى الذئاب لتَحْرس

(٣) الداعي، العدد: ٢، السنة : ١٧، ربيع الأول – ربيع الثاني ١٤١٤هـ الموافق سبتمبر ١٩٩٣م .

الشياهَ، وإلى السارقين وقُطّاع الطريق لتصون الأنفسَ والأموالَ!!.

الأمم المتحدة مؤسسة صهيونية صليبية

لقد بات مُؤَكَّدًا بشهادة التأريخ وبوثائق المِلَفّات أن ما يُسَمّى بـ«الأمم المتحدة» إنما أقامته الصهيونية والصليبية لتحقيق الأغراض الصهيونية والجرائم الصليبية وتنفيذ كل نوع من الإرهاب والعدوان ضد العرب والمسلمين ومصالحهم.

فقد شَهد التأريخُ شهادةً صارخة أن القوى التي أنشأت هذه المؤسَّسة لخداع العرب والمسلمين هي التي مَكّنت اليهودية من اغتصاب أرض «فلسطين» المسلمة واضطهاد شعبها المسلم وتشريده وتقتيله والتنكيل به وتدمير حضارته العريقة.

وعَلِمَ التأريخُ أن قرارَ تقسيم أراضي «فلسطين» المسلمة، الصادر عن «الأمم المتحدة» هذه عام ١٩٤٧م هو الذي عزّز بذرةَ الفساد المُتَمَثِّلة فيما يُسَمّى بـ«إسرائيل» وأن قرارها رقم ٢٤٢ كان أول «ثقب في البنيان المرصوص» لصمود العرب في وجه إسرائيل المُتَمَثِّل في المقاطعة العربية المُوحَّدة لإسرائيل والإجماع العربيّ الرسمي على رفض الاعتراف بهذا العدو اللعين المَهين، ذلك الإجماع الذي ظلَّ فاعلاً فعلاً شاملاً كاملاً منذ عام ١٩٤٨م حتى هزيمة العرب في حربهم مع إسرائيل في حزيران (يونيو) ١٩٦٧م .

حيث جاءت الموافقة العربية على هذا القرار – الذي يقضي بانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة مقابل حصولها على الاعتراف العربي وحل «المشكلة الفلسطينية» وضمان وضع متميز للأماكن المقدَّسة في القدس – لتُشَكِّل أوّلَ تراجع في الموقف العربي المُشرِّف الرافض للوجود اليهودي على أرض الإسراء والمعراج؛ إذ وافقت الأنظمة العربية على حدود آمنةٍ ومُعْتَرَفٍ بها لإسرائيل مقابلَ الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي التي احتلت عام ١٩٦٧م.

ومنذئذ تلاحقت الموافقاتُ العربية على مبادرات التسوية ومشاريعها المتعددة التي تضمّنتْ مبدأ الاعتراف بالكيان الصهيونيّ والتعايش معه، ومنذئذ توالت الخياناتُ العربيةُ في المصالح العربية والإسلامية، وقد تَمَثَّلتْ في أجلى صُوَرِها في «الخيانة الساداتية» التي تَمَثَّلت في زيارة «السادات» للقدس المحتلة عام ١٩٧٧م وعقده اتفاقية استسلامية منفردةً مع الكيان الصهيوني في ١٦/ آذار (مارس) ١٩٧٩م وتدشينه لسفارة إسرائيل في القاهرة في ١٨/ نوفمبر ١٩٨٠م وافتتاحه لسفارته في إسرائيل يوم

١٩٨٠/٢/٢٦م التي دَشَّنَتْ عهدًا جديدًا وأسلوبًا غريبًا من العلاقات العربية الإسرائيلية التي كان قد أطلق عليها الساداتُ – الذي كان خلفًا عن شرّ سلف وهو «القومي» «الوطني» «الثوريّ» الزعيم: جمال عبد الناصر – مصطلحَ «تطبيع العلاقات».

وبالمقابل ظلت إسرائيلُ منذ اليوم الأوّل وحتى كتابة هذه السطور يوم ١١/ أغسطس ١٩٩٣م، تُمارس مع الفلسطينيين: أهل الدار ومع العرب أجمعين بصورة عامّة كلَّ نوع من جرائم العدوان والإرهاب التي تفوق العَدَّ والإحصاءَ، وذلك على مُبَارَكَةٍ * من «الأمم المتحدة» المزعومة وعلى تشجيع من الدول الصليبية والأوربية وعلى رأسها «أمريكا» و«بريطانيا» وعلى تأييد من جميع القوى المعادية للإسلام: العدو المشترك للكفر الذي ملته واحدة وأشكاله شتى.

الأمم المتحدة ظلّت تخدع العرب

ظلت «الأمم المتحدة» تخدع العربَ عَبْرَ هذا التأريخ الطويل بالقرارات تِلوَ القرارات، وظلت الدولُ الغربيةُ الصليبية تُعطِي إسرائيلَ النورَ الأخضرَ تُمِدُّها بالمساعدات الماديّة وبالأسلحة والعُتاد. وفي ناحية أخرى ظلّت تُراود العربَ وتُلهيهم بالوعود والاستنكارات والبياناتِ المعسولةِ الظاهر، المُرَّةِ الباطن، لتمضي ربيبتُها وعشيقتُها: إسرائيلُ في تحقيق مآربها التوسعيّة وتمديد دولتها فيما بين النيل والفرات في طمأنينة، من خلال الحرب السافرة حينًا، ومن خلال المُمَارَسَات الإجرامية الإرهابية دائمًا، ومن خلال تنفيذ عمليّات العدوان اللامحدودة بصورة مستمرة.. وكلُّ ذلك في تَحَدٍّ سافر لكل القرارات «الأممية» المزعومة وكل «الضغوط» الأوربية والأمريكية الخادعة وكل «التحركات الأمَنية» الفارغة من قبل ما يُسَمّى بـ«مجلس الأمن».

شَهِدَ التأريخُ أنّ الأمم الغربية الصليبية المزدوجة مع الصهيونية، المُتَمَثّلة في مؤسّستها: «الأمم المتحدة» لم تقدر – بل لم تحاول أن تقدر – على إرغام إسرائيلَ على الخضوع لأيّ من القرارات الدولية المزعومة، وأنّ أي «ضغط» من الدُول الغربية أو الشرقية لم يستطع أن يحول دون إرادة إسرائيل في تنفيذ ما تشاء تنفيذه في أيّ زمان و في أي مكان .. وبالمقابل لم تتحرك «الأمم المتحدة» أو الدولُ الغربيةُ لتستخدم أيَّ مستوى أدنى من القوة ضد هذا الكيان الخبيث منذ أن وُجِد لحدّ الآن؛ بل ظلّت تُقدّم لها المساعداتِ تِلوَ المساعدات ماديّة ومعنوية وحربية كجزاء أو جائزة على ما حَقّقَتْه من انتصارات رائعة في «تأديب» العرب وتعذيب الفلسطينيين، وظلّتْ تعمل هي كلُّها على تعزيز ترسانتها بأحدث الأسلحة وأحدث الخِبَرات وأحدث التكنولوجيا الحربية لتُحَوِّلها أقوى دولة في المنطقة كلها ؛ حتى تقدر على «تأديب» العرب ، والتالي على تحقيق مطامعها التوسعية في الأراضي العربية المسلمة

بصورة دائمة.. وعلى العكس من ذلك عملت هي كلُها على تجريد العرب من أيّ نوع من الأسلحة الراقية وعلى إضعاف كل دولة عربية ملاصقة خاصةً وكل دولة عربية غير ملاصقة عامّة. وذلك من خلال سلسلة مُتَّصِلة من المَسْرَحِيَّات والألاعيب الدبلوماسيّة والعسكريّة بهدف اقتناص العرب واستعبادهم وإذلالهم وامتصاص خيراتهم في سهولة وجَعْلِهم لقمة سائغة لإسرائيل.

نفاق الدول الغربية تجاه العرب والمسلمين

إن نفاق الدول الغربية وأمريكا ومِظَلّتها الشرعية «الأمم المتحدة» وازدواجيتها في التعامل مع الشؤون الدولية والقضايا العربية والإسلامية لايحتاج إلى بيان أو تقديم برهان.

ورغم أن غزو النظام العراقي البعثيّ الغشوم «للكويت» العربية المسلمة كان عدوانًا صارخًا استنكره وتجمَّع ضدّه كلُّ القوى العالمية تقريبًا؛ فإنه بعد ما عادت الأمورُ إلى نصابها في خصوص أزمة الخليج التي فرضتها علينا نحن العربَ والمسلمين أمريكا والدولُ الغربيّة أولاً، و«صدامُ» البعث والاشتراكية والشيوعية ثانيًا. وإنما قلنا: أولاً؛ لأن أمريكا وحليفاتها المُعادية للإسلام هي التي نَسَجَت المسرحية كلها وهي التي عرضتها في لباقة الذكيّ وخِفّة الشيطان ودهاء إبليس. وثانيًا لأن صدام البعث الطاغية ظل عميلاً لأمريكا وحليفاتها وبقي صامدًا – ولا يزال – حتى يتم تنقيذُ المسرحية بكاملها ويتم تجريدُ دولة عربية مُضارعة تقريبًا في القوة لإسرائيل قادرة على «تأديبها» و«تأديب» كل أبياضها وأفراخها، لو استقامتْ وجهتُها وصحّتْ نيتُها ولم تُمْنَ بمثل «صدام التكريتي» المتنكر للعروبة والإسلام والمساعد على تنفيذ خُطط المؤامرة الغربية والأمريكية ضدَّ العرب والمسلمين في منطقة العالم العربي.. بعد ما عادت الأمورُ إلى مجراها برزتْ تساؤلاتٌ مُلِحَّة على المستوى الدوليّ – ولا تزال – حولَ مصداقية الدول الغربية و«أمريكا» بالذات و «أممها المتحدة»؛ حيث لم تبادر ولا مرّةً واحدةً عَبْرَ التأريخ لتنفيذ أية عملية عسكرية أو شبه عسكرية أو رادعة على الأقل تضع حدًا ما لعُنْجُهيَّة إسرائيل وصلفها وتَعنُّتها وعَرْبَدَتِها.

وفي الأخير أبعدتْ إسرائيلُ أكثرَ من أربع مائة فلسطيني إلى «مرج الزهور» بجنوبي لبنان – الذي واصلت قصْفَه لأيّام مؤخرًا بهدف تهجير مواطنيه منه للأبد وتوسيع رقعتها إليه – وصرخت الجماعاتُ والأفرادُ والمُنظماتُ ضدَّ هذا العدوان الصارخ، وراهنتْ على ما يُسَمَّى بـ«الأمم المتحدة» وعلى سيدتها «أمريكا» وما إليها من الدول الغربية؛ ولكن دون جدوى. ومقابلَ ذلك أقدمت «أمريكا» على تقديم مساعدات مادية كبيرة لها، وعَمِلتْ على إلهاء العرب بتوريطهم في أفحش مسرحيّة باسم مُفاوَضَات السلام بين اليهود والعرب. وفي غياب الوعي القومي والإسلامي والعربي اشترك بعضُ

الدول العربية المَعْنِيّة في هذه المسرحيّة رغمَ أن عملية إبعاد الفلسطينيين الأربعمائة لم يمض عليها كبيرُ وقت.

وفي «البوسنة» والهرسك» حيث يُباد الإنسان المسلم على يد الإرهاب الصليبيّ: «الارثوذكسيّ الصربيّ» و«الكاثوليكيّ الكرواتيّ» بوحشية لم يسبق لها مثيلٌ في تاريخ البشر، افتضحت مواقف «أوربا» و«أمريكا» و«أممها المتحدة» ورئيسها المسيحيّ المُتعصّب المُتعَنّت ، تلك المواقف التي اتّسمت بالمماطلة والتسويف والتأجيل المُمِل والمناقشات الفارغة بهدف إكساب الإرهاب الصليبيّ عنصرَ الوقت الذي يستطيع فيه تنفيذ التصفية النهائية للوجود الإسلامي في هذه المنطقة من «أوربا» التي صرّح الصليبيون على اختلاف مذاهبهم أكثرَ من مرة أنهم لن يحتملوا الوجودَ الإسلاميَّ فيها أي في منطقة البلقان.

تبادر الدول الغربيّة و«أمريكا» و«أممها المتحدة» لاتخاذ أيّ أشنع قرار اقتصادي أو عسكريّ أو دبلوماسيّ ضد كل دولة إسلامية وعربية، وتُنَفّذه في سرعة البَرق الخاطف كأن أي تأجيل في تنفيذه من شأنه أن يُسقِط السماءَ على الأرض أو يقيم الساعة قبل أوانها. بينما إذا كانت المعاملة تتعلق بدولة غير عربية وغير إسلامية ومعادية للدول العربية والإسلامية، فإنها تمارس في شأن اتخاذ أيّ قرار ضدها أشنع أنواع اللف والدوران والمماطلة المستنفدة للصبر

تفاديًا من استياء «السيِّدة» أمريكا!([4])

اصطرختْ المُنَظّمات والمُؤَسّسات والدولُ الإسلاميّةُ والعربيّةُ كلُّها ضدَّ القرار الذي اتّخذه مجلسُ النُوّاب الأمريكي مُؤَخَّرًا، باعتبار القدس الإسلاميّة العربيّة المُحْتَلّة، عاصمة مُوَحَّدَةً للعدوّ الصهيونيّ، ورصد مائة مليون دولار لنقل السفارة الأمريكيّة من «تل أبيب» إلى مدينة القدس.

ورغمَ استحساننا لهذا الاستنكار الواسع، آسفنَا جدًّا لهجةُ «الالتماس» و «الرجاء» و«التأدُّب» التي لَمَسْناها في مُعْظَم البيانات التي أصْدَرَتْها المنظماتُ والجمعيّاتُ الإسلاميّةُ العربيّةُ في هذا الصَّدد؛ تفاديًا من استياء «السيدة» أمريكا وسَخَطِ «المولى» بيل كلنتون!!.

وهذا القرارُ جاء تأييدًا للقرار الذي كان قد أصدره مجلسُ الشيوخ الأمريكيّ في أكتوبر ١٩٩٥م، باعتبار القدس عاصمة للعدوّ الصهيونيّ.

وقد اعتاد الصُّحُفِيُّون العلمانيّون لدينا بتصنيف الانحياز الأمريكيّ المُطْلَق الثابت إلى الكيان الصهيونيّ بأن ذلك سياسة يمارسها القادةُ الأمريكان لاجتياح أصوات اللوبيّ الصهيونيّ الفاعل في

([4]) كلمة العدد، مجلة الداعي، العدد ٤، السنة ٢١، ربيع الثاني ١٤١٨هـ = أغسطس – سبتمبر ١٩٩٧م.

مُؤَسَّسَات التشريع والإدارة في أمريكا؛ أو بأن ذلك يرجع إلى أسطورةِ كون العنصر اليهوديّ مظلومًا على يد النازي ومَلَنِه، تلك الأسطورةُ التي استقطبتْ عطفَ الأمريكان ولا سيّما المسيحيين الكاثوليك، الذين اتّخذوا القرارَ بتبرئة ساحة اليهود من دم المسيح!!.

ولكنّ قراءةَ الموقف الأمريكيّ بتأنٍّ وإمعانٍ تُعطي انطباعًا مُؤَكّدًا بأنّه لاينبني على ذلك التصوّر البسيط الذي يتخيّله الصحفيون العلمانيّون الذين يَرْبطون دائمًا سياساتِ الشرق والغرب العدائيّة ضدَّ الإسلام بأسباب وعِلل واهية غير العداء للعرب والإسلام: من المصالح الدبلوماسيّة والاقتصاديّة، والتجاريّة والعسكرية الكثيرة، التي تربط دولَ العالم كلّها اليومَ بعضَها ببعض مُتَعَادِيَة كانتْ أو مُتَصَادِقَة.

وإذا وضعنا الموقفَ الأمريكيّ تُجَاهَ إسرائيلَ على هذا المِحَكّ، وجدنا كأنّ أمريكا لا تُبالي في انحيازها الثابت المستمرّ إلى الكيان الصهيونيّ بمصالحها اللامعدودة التي ظلّتْ ولا تزال تربطها مع العرب والمسلمين.

فهل نَتَوَصّل من ذلك إلى أن استقراءَ الصحفيّين للموقف الأمريكي خاطيءٌ خَيَاليٌّ افتراضيٌّ لا يَمُتُّ إلى واقع الأمر بصلة، أو نعتقد أن أمريكا غَبِيَّة لحدّ السفاهة بل الجنون؛ حيث تُعَرِّضُ باستمرار لعلاقاتها مع العرب ومصالحها منهم للخطر الأكيد؟!.

أمريكا في مواقفها تجاه العرب والفلسطينيين

تصدر دائمًا عن منطلق العداء للإسلام

الصحيحُ أنّ أمريكا تَصْدُر دائمًا في مواقفها المنحازةِ للعدوّ الإسرائيلي عن مُنْطلق العِدَاء للإسلام.. ولا تكترث في ذلك بالرأي العربيّ العامّ ولا المشاعر الإسلاميّة، وإنما يَعْبَث بها دائمًا عبثَ الوليد بجانب القرطاس؛ ذلك لأنّها تعلم أنّ العرب لن يَتَخَلّوْا عن مصالحها ولن يقدروا على تحدّي إرادتها في دول الخليج، مهما مَارَسَتْ من الضربات والطعنات واللسعات واللدغات في شأنهم، علمًا منها بأنها – أمريكا – تعلم «الطريقة السريعة» لامتصاص الغضب إذا حَصَلَ من العرب، وتخدير مواضع الألم من أفكارهم وعقولهم.

والمُتابع لأدوار الموقف الأمريكي الانحيازيّ نحو العدوّ الصهيوني يعلم علمَ اليقين أنّها ظلّتْ دائمًا تَتَّخِذ خُطُوَاتٍ مُفَاجِئَة في «الوقت المناسب»: في الوقت الذي يزداد التوتُّر، وتشتدّ غَطْرسة إسرائيل، ويتفاقم تَعَدّيها على الفلسطينيين.

فبالأمس أقْدَمَ الكيانُ الصهيونيُّ على تنفيذ سياسة الاستيطان المدروسة ومُخَطّط انتزاع الأراضي

بالحديد والنار من الفلسطينيين وفي مدينة القدس المحتلة بالذات.. الأمرُ الذي جَعَلَ عمليّة التسوية الاستسلاميّة تتعثّر رغم جميع المحاولات المكثّفة التي ظلَّ يبذلها كلٌّ من السيد «ياسر عرفات» و«نيتنياهو» الصهيونيّ المظهر والمخبر لإحيائها.

بماذا عسىٰ أن يُفسَّر القرارُ الأمريكيّ الصادرُ في هذه «المناسبة الساخنة» باعتبار القدس عاصمة مُوَحَّدَةً لإسرائيل؟ أليس ذلك يدلّ دلالة صارخة على أنّ أمريكا بحكومتها وكونجرسها إنما تودّ أن تُذلّل السبيلَ أمام الغطرسة الإسرائيليّة، لتُرْغِم العربَ على الاستسلام الفعليّ التامّ للهيمنة اليهوديّة.

ومثلُ هذه الدولة التي اتّضح تعاطفُها مع إسرائيل ومناصرتُها لها حتّى للبُلْهَاء في العالم، كيف يجوز للعقلاء العرب: ساستِنا وقادتِنا والمتحكّمين في مصائرنا أن يعتمدوا عليها وسيطاً عادلاً في قضايانا وقضيّة فلسطين بالذات!.

قضية فلسطين بين الأعداء والعلمانيين وبين عامة العرب المتفرجين وبين غيرهم من الإسلاميين(*)

المُؤسِف في القضية الفلسطينية بالنسبة للمسلمين كلّهم، أنّ العلمانيين من المسلمين والأعداءَ أجمعين حاولوا منذ اليوم الأول تحقيقَ أمرين:

١- أن يجعلوها قضيّة تَخصُّ الفلسطينيين وحدَهم، حتى تفقد الاهتمامَ الإسلاميَّ العربيَّ العالميَّ، الذي تستحقه وستظلّ تستحقه ما لم تنل الحلَّ الذي يرضاه المسلمون .

٢- أن يجعلوها صِرَاعًا عقديًّا بالنسبة لليهود، وصِرَاعًا سياسيًّا مُجَرَّدًا بالنسبة للمسلمين والفلسطينيين.

فعاد الصراعُ بين العدوّ الصهيونيّ وبين المسلمين صِرَاعًا غيرَ مُتَكَافِي؛ حيثُ ظلّ العدوّ مدفوعًا إليه بالعقيدة اليهوديّة والمزاعم التأريخيّة و«المواثيق والمواعيد» المُختَلَقة بشأن استعادة «الأرض الموعودة» وإقامة دولته في المساحة المُمْتَدَّة على ما بين النيل والفرات، وإقامة «هيكل سليمانَ» المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى المبارك، وما إلى ذلك من الأهداف التي كلُّها تختصر في الأطماع التوسُّعيّة الرهيبة التي لن تتحقق إلاّ على جسر من الإذلال للعرب والإخضاع للمسلمين. إلى جانب تسلُّحه بسياج قويّ من السياسة يتمثّل في أحزاب يمينيّة ترفض إعادةَ «القدس» واللاجئين والأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م؛ وإلى جانب الاستعداد العسكريّ الذي جَعَلَ من «إسرائيل» أقوى دولة في قلب العالم العربيّ.

(*) كلمة المحرر، مجلة الداعي، العدد: ٦، السنة: ٢٤، جمادى الثانية ١٤٢١هـ = سبتمبر ٢٠٠٠م.

أمـا العـربُ والمـسلمون – باسـتثناء الإسـلاميّين المُـرَابطين علـى الثغـر، المجاهـدين بالغـالي والـرخيص، المعتقدين بـأنّ الطريـقَ الأسلمَ الأصـوبَ الوحيدَ إلـى تحريـر «فلسطين» واسـتعادةِ المجد السليب والعزّ الفقيد والأراضي المُغْتَصَبَة والأعراض المُنْتَهَكَة إنما هو الجهادُ الإسلاميُّ الذي سيظلُّ ماضيًا إلى يوم القيامة – فإنّهم لا يقفون إلاّ موقفَ المُتَفَرِّج؛ ولا سيّما القادة والساسة الذين يَنْعَمُون في قصورهم وجنّاتهم، ولا يَرْضَوْن أن يضحّوا من أجل «فلسطين» بشيء من راحتهم ودَعَتهم؛ فيؤمنون بالاعتراف بـ«الأمر الواقع» ويَدْعُون المسلمين كلّهم إلى الخضوع لتوجُّهاتهم .

أمّا الفلسطينيون – غيرُ الإسلاميين وغيرُ الفصائل المؤمنة بالنضال المُشَرِّف – فإنهم إنما يخوضون الصِرَاعَ بفكر سياسيّ مُجَرَّد من الروح العقدية، يهدف إلى إقامة دولة ولو كانت هزيلة مهزوزةَ الجذور، ولو أدَّتْ إلى دفع ثمن باهظ.

وقد قلتُ أكثر من مرة: إن القضية الفلسطينية لدى الإسلاميين كلّهم عربًا كانوا أو عجمًا قضية عقديّة إسلاميّة مائة في المائة. وإن اعتبارَها بهذه الصفة هي التي تجعلها مدعومة من المسلمين كلّهم والعرب جميعهم والفلسطينيين بمختلف وجْهَاتهم، وهنا سيأتي الحلُّ كما نريد، وهنا سنتمكن من فرض رأينا على العدوّ، ولن يقدر العدو أن يفرض علينا موقفه. وأما بدون ذلك فكلُّ شيء ممكنٌ، وكلُّ شيء حاصلٌ «واللهُ غالِبٌ على أمْره ولَـٰكِنَّ أكْثَرَ النَّاس لا يَعْلَمُوْنَ (يوسف/٢١).

ازدواجية الموقف العالمي المشينة ([1])

القضية الفلسطينية جديرة بالرثاء المكثف

القضيّة الفلسطينيّة جديرةٌ بالرثاء المُكَثَّف من شتّى النواحي، فهي ليستْ محلَّ التجاذب الدبلوماسيّ والعسكريّ من قبل القوى العالميّة ولاسيّما الغربية وبالأخص أبناء الثالوث وحدَهم، الذين يقفون بانحياز سافر فاضح بجانب الصهاينة. وإنّما هي كذلك محلُّ التضارب والتناقض من قبل القادة العرب والمسلمين والشعوب العربيّة والإسلاميّة.

أمّا الشعوبُ العربيّة والإسلاميّة فهي كلُّها أوجلُها لا ترى الطريقَ المباشرَ الصحيحَ الأقومَ إلى استرداد الحقّ واستعادة المجد إلاّ خيارَ الجهاد، خيارَ الحلّ العسكريّ، خيارَ الحرب الحاسمة مع الصهاينة الخُبَثَاء، بعد الإعداد المستطاع والتأهُّب الممكن .

([1]) كلمة العدد، مجلة الداعي، العدد ٣، السنة ٢٥، ربيع الأول ١٤٢٢هـ = يونيو ٢٠٠١م .

وأمّا القادةُ فظلّتْ مواقفُهم مُتَّسِمَةً حقًّا بالتناقض الشائن. إنّهم عَبْرَ التصريحات الصحفيّة والبيانات في المحافل الدوليّة والمؤتمرات والندوات الشعبيّة، يؤيّدون الانتفاضة الفلسطينيّة ويُشيدُون بشبابها، ويَتَغَنّون باستشهادهم في سبيل الحق الأبلج والمجد المؤثّل، ويأمرون بعلاج الجرحى منهم على نَفَقاتِهم، وبمساعدة ذويهم الأحياء ماديًّا ومعنويًّا؛ ويُحَبّذون العمليّاتِ الجريئة التي يقوم بها الشبابُ الفلسطينيّون من أجل إزعاج الصهاينة وإحراج قادتهم وإعاقة مُخَطّطاتهم الجهنميّة من أجل ابتلاع الأرض والشعب والمُقَدّسات .

وفي جانب آخر يَدْعُون حثيثًا إلى العودة من جديد إلى بدء عمليّات المُفاوَضَات واتفاقات السلام مع «إسرائيل»، والجلوس إلى مائدة المحادثات في أقرب وقت ممكن، وإزالة الحواجز التي تعترض سبيلَ السلام. ويُطْلِقون باستمرار وعَبْرَ جميع أجهزة الإعلام تصريحاتٍ مُفادُها: نريد سلامًا شاملاً عادلاً ثابتًا واتفاقًا يعيد الحقَّ إلى أصحابه. وكأنّهم يعتقدون أن اليهودَ يعرفون معنى «العدل» ويُطَبّقونه في حياتهم، وأنّهم يَرْضَوْنَ بالتخلّي عن الحقّ لأصحابه، وأنّهم قوم يلتزمون بالمواعيد ويَتَقَيّدون بالمواثيق، وكأنَّ أخلافَ الوعد، وتعودَ الكذب والخداع، ليسا من طبيعتهم!.

على حين إنَّ الانتفاضة ليست إلا جهادًا يقوم بها الفتيةُ الذين آمنوا بربّهم وزادهم ربُّهم هدىً؛ فما يقوم به الشبابُ الغِضَاضُ الإهابِ، والأطفالُ الناعمةُ الأظفار، والأولادُ الذين ترقص البراءةُ على شِفاهِهم، ويعلو نورُ العصمة وجوهَهم، إنما يقومون به جازمين بكونه جهادًا من أجل استعادة الحقّ، واسترداد الأراضي السليبة، والحفاظ على العرض، والإبقاء على البقيّة الباقية من ماء الوجه، الذي رَضِيَ بضياعه «الكبارُ» من القادة والساسة الذين بأيديهم الحلُّ والعقدُ.

إنّ القضيّة الفلسطينيّة المُعَقَّدة – التي هي القضيّةُ الإسلاميّةُ العربيّةُ الأولى اليوم بكل المقاييس – ظلّتْ مُتَقَلْقِلة بين مواقف القادة والساسة المتضاربة وبين موقف الشارع الإسلاميّ* في العالم العربيّ وفي العالم الإسلاميّ كليهما: الموقفِ المُوَحَّد، الموقف الثابت، الواضح الحاسم، الذي ظلَّ ولا يزال يُصِرُّ على الانتفاضة العارمة الصارمة، التي يسبقها الإعدادُ الشاملُ، ورصُّ الصفّ، وترتيبُ البيت، وتوحيدُ الكلمة، وجمعُ العرب والمسلمين حكوماتٍ وشعوبًا على الإيمان بجدوى الجهاد والحلّ العسكريّ الإسلاميّ الذي يخافه الأعداءُ ويُذْعَرُ منه الصهاينةُ وأبناءُ الثالوث والوثنيّون في كلّ مكان، ذعْرَ الأطفال الصغار من الغَوْل والسَّعْلاة.

أمّا المواقفُ المُتَأَرْجِحَة المُتَذَبْذِبَة التي تُفْتِي بالمفاوضات وخوض مسلسلات السلام المُمِلّة، والاتفاقيّات التي عواقبُها مجهولة، من أجل طبيعة اليهود المعجونة بالغدر والخيانةِ وإخلافِ الوعدِ، والكذبِ الصُّراحْ*، والخداع الماكر؛ فإنها لم تنفعْ ولن تنفعَ. نحن مُتَأَكّدون أنّ الاتفاقيّاتِ مع اليهود لن

تكون إلا كبيت العنكبوت الذي هو أوْهَنُ البيوت .

المفارقة الغريبة التي تتعامل بها المحافل الدولية

وفي هذه المناسبة بالذات أجدني مضطرًا أن أشير إلى المفارقة الغريبة التي تتعامل بها المحافلُ الدوليّة ووسائلُ الإعلام الغربيّة العالميّة مع أكبر عِصَابة إرهابيّة في العالم، وهي العصابةُ الصهيونيّة اليهوديّة، ومع حركة «طالبان» التي لم تَقُمْ بعُشْر مِعْشَار ممارسةِ «إرهابٍ» حتى بالقياس إلى وسائل الإعلام الأمريكيّة والغربيّة أيضًا.

دولةُ «إسرائيلَ» قامتْ منذ أوّل يوم على أساس إرهابٍ غربيّ بريطانيّ أمريكيّ، وحقّقت ولا تزال تُحَقّق مطامعَها التوسعيّة عن طريق الإرهاب المَحْض الذي تمارسه كلٌّ من دولة بني «صِهْيُون» حكومة وشعبًا، والدولُ الغربيّة و«أمريكا» وأبناءُ الثالوث، وما يُسَمَّى «بالأمم المتّحدة» و«مجلس الأمن» التابع لها، اللذين ليسا إلا حِبَالة لتحقيق الأغراض الصهيونيّة الصليبيّة عَبْرَ العالم عمومًا وفي العالم العربيّ خصوصًا، من خلال استغلاله كمجالٍ نافع جدًّا لتصريفِ مُنْتَجَاتها العسكريّة، وأسلحتها الغربيّة، ومصنوعاتها الاقتصاديّة، ومن خلال تحويل أبنائه – العالم العربيّ – العرب مُسْتَعْبَدين لأنانيّتها، وساحتِه – العالم العربي – الواسعة أرضية صلبة للتلاعب بديانة العرب، وثقافتهم وحضارتهم، وتقاليدهم وعاداتهم، وهُويّتِهم الدينيّة،وشخصيّتهم الملّيّة.

أليس الواقعُ المُشَاهَدُ الملموس أنّ الدولة الصهيونيّة المزروعة ظلمًا وعدوانًا في قلب العالم العربيّ، تَقْتُلُ مقابلَ حجارة صغيرة يَقْذِفها إلي صهيونيّ طفلٌ فلسطينيٌّ غَيْرَ مُسَدَّدَة، عشراتٍ من الأطفال الفلسطينيين الأبرياء، وتُجَوِّع ألافا من المواطنين الفلسطينيين، وتُحَاصِر مناطقَ كثيرةً، وتَفْرض حَظْرَ التجوّل على قطاعَاتٍ عديدةً. إنها ظلّت ولا تزال تُعَاقِب الفلسطينيين بأضعاف ما صُنَعَه معها طفلٌ بريءٌ أو شابٌّ غِرٌّ؛ بل كثيرًا ما صَبَّتْ عليهم الويلاتِ دونما ذنب، ودونما تصرُّفٍ استفزازيّ أو عمل حَمَاسِيّ.

ولكنّ الدولَ الغربيّة لم تُقدِمْ قطُّ على إطلاق ما يُشَابه كلمة «الإرهاب» على الدولة الصهيونيّة ولا على قادتها، فضلاً عن كلمة «الإرهاب» الصريحة .

ولكن دولةً عربيّةً إسلاميّةً ما إن تَصنَعْ شيئًا لا يُوَافِق هوى «أمريكا» والدول الغربيّةِ، حتى تُسْرِع إلى فرض الحصار الاقتصاديّ عليها مُتَسَتِّرةً بما يُسَمَّى «بالأمم المتحدة». فهذه «ليبيا»، و«السودان»، تتعرّض منذ سنوات لتحدّياتٍ وتهديداتٍ من قبل هذه الدول مُتَمَثِّلةً في «الأمم المتحدة»، تستهدف أمنَهما وسيادتَهما.

وكذلك «أفغانستانُ» التي تتعرّض اليومَ لأسوأ أنواع الحصار الاقتصاديّ من قبل «أمريكا» – التي هي أكبرُ دولةٍ إرهابيّةٍ اليومَ على ظهر الأرض؛ حيث تفوقُ في ذلك زبيبتُها دولة «إسرائيلَ» التي لا تصنع ما تصنع إلاّ بمساندة وتشجيع وتربية منها – وتحتمي «أمريكا» في ذلك «بالأمم المتحدة». وقد بات واضحًا لدى العالم كلّه أنّ «أمريكا» خَرَجَتْ كثيرًا من المرّات على رضا «الأمم المتحدة» لإشباع أنانيّتها العسكريّة الاستعماريّة تجاهَ دولةٍ من دول العالم، ثم حاولتْ بشكل أو بآخرَ أن تُضْفِيَ على تصرُّفاتها شرعيّة دوليّة بكسبِ أنصار من خلال أعضاءٍ دائمين في «الأمم المتحدة». يمكن أن يُضْرَبَ لذلك مَثَلٌ بالضربات التي وَجَّهَتْها هي وحليفتُها الغربيّةُ القويّةُ «بريطانيا» للعراق، دونما عمليّة منه استفزازيةٍ جديدةٍ تسمح بتوجيه هذه الضربات. لذلك نَدَّدَتْ بذلك بشكل مُكَثَّف جميعُ دول العالم حتى الدولُ الغربيّة، واعتبرتِ الهجومَ الأمريكيَّ البريطانيَّ الأخيرَ على العراق عملية عدوانيّة لايُبرِّرها سببٌ في الوقت الحاليّ.

وما تصنعه «أمريكا»، وعلى إيعاز منها «الأممُ المتّحدةُ»، تجاهَ «أفغانستان»، ليس إلا عدوانًا دوليًّا ضدَّ هذه الدولة الإسلاميّة، التي سَيْطَرَ فيها «طالبان» على ٩٠٪ من أراضي الدولة، وأقاموا فيها الأمنَ على طريقتهم، وحَاوَلُوا أن يُطبِّقُوا فيها الشرعَ الإسلاميَّ؛ ولكنّ «أمريكا» ودولَ العالم كلّها ظلّتْ تُزْعِجُهم بكلّ حيلة من الحيل بحجّةِ وجودِ «ابن لادن» في ديارهم؛ وعدمِ رضاهم بتسليمه إلى «أمريكا»، التي تَزْعُم دونما دليل أنه مُتَوَرِّطٌ في العمليّات الإرهابيّة ضدَّ مصالحها في عددٍ من أماكن العالم. وظلَّ «طالبان» يطلبون من «أمريكا» شهاداتٍ على ذلك؛ ولكنّها لم تستطعْ لحدّ اليوم أن تُقدِّمَ شهادةً ضدَّ «ابن لادن».(٧)

موقف يجعل الحليم غضبان

نتساءل – وعن حقّ نتساءل – ماذا يبقى بعد تناول إسرائيلَ السيد عرفات نفسَه بسوء الإذلال والإهانة لهذا الحدّ الأقصى الذي رآه وشَاهَدَه وقَرَأه الناسُ في العالم كلّه وضَحِكُوا لا على هوان عرفات وعجزه وقلّةِ حيلتِه ، ولكنْ على هوان هذهِ الكثرةِ الكاثرةِ من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها الذين لديهم هذه الدولُ الطويلة العريضة ، وهذه الحكوماتُ القويّة ، وهذه الثرواتُ الهائلة ، وهذه المُؤَهّلاتُ والعبقريّاتُ التي لا عَدَّ لها ، وهذه الإمكاناتُ والوسائلُ الغنيّة ، وهذه القياداتُ الرشيدةُ الحكيمةُ التي تُتْقِنُ إدارةَ دقة الحكم ، وتعرف طريقة التعامل مع كل عَصِيٍّ خارج على قرارها من الشعب ،

(٧) فلسطين في انتظار....٤٢٤- ٤٣٠.

وتعلم طريقة الارتماء في حضن أمريكا والغرب ولكنّها – كما يبدو من أسلوبها – تتجاهل طريقة اللجوء إلى الربّ الرحمن والاطّراح على عَتَبَتِه !! . أليس يكفي ذلك لأن يجعل الحليمَ غضبانَ وليجعل الضعيفَ من مسلمي العالم قويًا ، وليثور ثورةَ الأسد الذي أُتِيَ في عرينه .. إنّ الصحفيين والإعلاميين في العالم كلّه وبشتى لغاتهم يُعَلّقون على هذا النبأ ، ويَتَنَدَّرُون ، ويتساخرون، ويتشامتون بالمسلمين وبالمُستَضعَفِيْنَ من الفلسطينيين ، ويتساءلون في عجب : لماذا يُمْنَى المسلمون وحدَهم بالهزيمة في كلّ جزءٍ من العالم حتى في فِلسْطينَ التي هي مَحْمِيَّةٌ * من الجوانب الأربعة بالدول العربيّة التي بعضُها أقوى جيشًا وعتادًا حتى من حناجر قادتها الذين كثيرًا ما يستعرضونها إذا مَسَّ مصالحَهم الشخصيَّةَ ضرٌّ ؟ لماذا يُقابَلُوْنَ هم بالإهانة ، لماذا يُلاحَقُوْنَ في كلّ مكان ؟!.

فإنّ هؤلاء الصُّحُفِيِّيْنَ مُعْظَمُهم غيرُ مسلمين وأكثرُهم صليبيُّون وصِهْيُونِيُّون أو وَثَنِيُّون أو مُلحِدون أو عَلمَانِيُّون ، فجازَ لهم أن يتساءلوا هذا التساؤل ويتشاتموا هذا التشاتم ؛ لأن الأعداء مُتَصَوَّرٌ منهم أن يَفْرَحُوْا بالذلّ والظلم يلاقيهما خصمُهم .

نتساءل : ماذا يبقى بعد إذلالُ أكبر رمزٍ مُتَسَابِقٍ إلى عمليّاتِ عقدِ السلامِ مع إسرائيلَ؟. إنّ إسرائيلَ رَكَلَتْ في إساءةٍ أيِّ إساءةٍ كلَّ المواثيق والإبرامات التي كانت قد التزمت بها خلالَ جميع جولات المباحثات بينَها وبينَ السلطة الفلسطينية . وليستْ هذه أولَ مرة تُدِينُ إسرائيلُ عرفات وتُنْزِلُ عليه العقابَ وتتناوله بالإهانة ؛ ولكن سبقتْها سوابقُ خلالَ السنوات ولاسيّما الشهور الماضية ، سَجّلتْها وسائلُ الإعلام العالميّة .

أمريكا أعطت إسرائيل هذه المرة النورَ الأخضر لفعل الأفاعيل مع الفلسطينيين

ولكنّ الفرق بين المرات السابقة والمرة الحاليّة – إلى جانب أسوإ أسلوبِ التعاملِ الذي اختارتْه إسرائيلُ – هو النور الأخضر الذي أعطتْه أمريكا إسرائيلَ لتنفيذ ما تشاء من العمليّات الإرهابيّة ضدَّ الفلسطينيين و حتى السلطة الفلسطينية . وإن كانت إسرائيل موهوبة من قِبَل أمريكا صَلاحِيَّاتٍ لتنفيذ جرائمها العسكريَّة وغير العسكريّة ضدَّ أصحاب الدار الفلسطينين دائمًا ، ومُزَوَّدة لذلك بكلّ سلاح وعتاد ودعم ماديّ ومعنويّ ؛ ولكنَّ الجديدَ الذي حَدَثَ هذه المرَّةَ هو أن بوش المُتَعَامِلَ بسلاح العنف والإرهاب مع جميع القضايا التي تمسّ الإسلامَ والمسلمينَ، قد قال لإسرائيل : نعم بصوت واضح لا لبسَ فيه ومُدَوٍّ سَمِعَه الإعلامُ في العالم كلّه وأسمعه سُكّانَ الدنيا عدّةَ مرات ، حتى لايَنْسَوْا الدرسَ الذي يريد بوش تلقينَهم إيَّاه ، وحتى إن اعتبرَ جميعَ المُنَظَّمَاتِ الفلسطينية العاملة على تحرير الأرض واستعادة حق تقرير المصير ،إرهابيّة لا يستغربوا ذلك ، ولا يستغربْه المسلمون ولا يستغربْه المخلصون من القادة والساسة فضلاً عن الجُبَناء الخَوَنَةِ من داخل الصفّ .

فقــد صَرَّحَ بوش يــوم الأربعاء ٥/ديسمبر ٢٠٠١م (١٩/ رمضان ١٤٢٢هـ) حسبما نشرتِ الصحفُ عندنا في الهند نقلاً عن رويترز أنّ القواتَ الأمريكيّة قد تَشُنُّ الهجومَ على فِلسْطِينَ ضمنَ مُخَطَّطِ الحرب ضدَّ الإرهاب ! قال بوش- وهو يتحدّث إلى قناة A. B. C. للأنباء : إذا اقتضتِ الضرورةُ الهجومَ على مكانٍ آخرَ فسنستخدم له قواتِنا . وأودّ أن أؤكد للشعب الأمريكيّ أننا قد تركنا الطُرُقَ البديلة مفتوحة . وأدلىٰ بوش هذا الحديثَ للقناة المذكورة بعد ما أعلنَ تجميدَ أرْصِدَةِ ثلاثِ مجموعاتٍ من مُنَظَّمَةِ حماس. وقد صَرَّحَ الرجلُ أنَّ الحربَ ضدَّ الإرهاب غيرُ عاديّةٍ وغيرُتقليديّةٍ لحدٍّ أنّ الناسَ لا يعلمون عنها شيئًا قبل أن تُنَفَّذ . وقال الرجل وهو يُؤَيِّدُ عمليّاتِ إسرائيلَ العسكريّة الأخيرةَ المشارَ إليها ضدَّ الفلسطينيين : إنّ على التحالف الغربيّ تَعُودُ مسؤولية انتشال آسيا الغربيّة من الإرهاب ، إنّ إسرائيلَ تَتَوَخّىٰ الأمنَ ، ولكنَّ بعضَ النّاس يعارضونها فيه . وأضاف قائلاً : إنّه لو وَجَّهَ عنايتَه إلى المقاتلين الفلسطينيين (!!) لصَعُبَ الإبقاءُ على التحالف المَحَارب ضدَّ أسامة بن لادن ، وقال: إنّه يتعيّن على ياسر عرفات أن يتّخذ إجراءاتٍ عدوانيّة للقضاء على المحاربين لإســرائيلَ!!.(^)

بوش يعتبر المنظمات المقاومية في فلسطين «إرهابية»

وأعاد بوش هذا المطلبَ على عرفات يوم ٦ / ديسمبر ٢٠٠١م الخميس (٢٠/ رمضان ١٤٢٢هـ) طِبْقًا لما نشرتْهُ الصحفُ الهنديّةُ نقلاً عن رويترز حيث قال : إن الساعة تقتضي أن تنهض منظمةُ التحرير الفلسطينية وأن يتّخذ إجراءاتٍ صارمة ضدَّ القَتَلَة - يعني بهم الشبابَ الفلسطينيَّ المُقاوِمَ للاحتلال – الذين يُخِلُّون بعمليّات الأمن التي نحــن مُتَصَدُّون لتنفيذها ، وأضاف بوش : يجب على عرفات أن يُثْبِت قدرتَه القياديّة ويَتخذ خطواتٍ رادعة جدًّا ضدّ الذين يَعْبَثُون بحياة الأبرياء - يعني بهم الصهاينة – مُتَّخِذين ذلك سِلاحًا لتحطيم محاولاتِنا لإقامة الأمن.

التصريحان المذكوران يُؤَكِّدان - فيما يُؤَكِّدان -:

١- أن بوش قد اعتبرَ المُنَظَّمَاتِ الجهاديّة في فِلسْطِينَ إرهابيّة.

٢- وأنّه عازم على شنّ الحربِ ضدَّ هؤلاء الفلسطينيين باعتبارهم إرهابيين ؛ فيجب عليه – بصفته شرطيَّ العالم – أن يخوض معهم حربًا ضمنَ الحرب الشاملة على الإرهاب ، التي هي غيرُ تقليديّة لحدٍّ لا يُتَصَوَّر .

٣- وأنّه لشَنَّ هذه الحربَ ضدَّ الفلسطينيين حالاً ودونما تأخير، ولكنَّ الذي يمنعه عن ذلك هو مخافتُه من تَبَعْثُر التحالف للحرب على أسامة بن لادن ؛ فلولا مخافتُه هذه لخاض الحربَ على الجبهتين

(^) «راشتريا سهارا» الأردية اليومية الصادرة بدهلي الجديدة ، العدد ٩١٣ ، الخميس ٢٠ / رمضان المبارك ١٤٢٢هـ = ٦ / ديسمبر ٢٠٠١م)

معًا : جبهةِ أفغانستان وجبهةِ فلسطين!!.

٤- ولكنه مادام خائفًا على مصالح بلاده فإنّ الواجبَ على عرفات – لكونه قد ارتكبَ ذنبَ التورّط في مُسَلسَلاتِ عمليّةِ اتفاقيّاتِ السلامِ مع إسرائيل – أن يُلاحِقَ شبابَ فلسطين ، ويقبض عليهم ، ويقتلهم بالمجموع أويسلمهم لإسرائيلَ الدولة البريئة المحبة للأمن والسلام!.

٥- وإلاّ فليستعدَّ عرفات وزملاؤُه قادةُ السلطة الفلسطينية المزعومة وجميعُ الشعب الفلسطينيُّ لضربٍ موجع من قِبَلِ أمريكا بشكل علنيّ لامن قبل إسرائيلَ وحدَها ؛ لأن الثانية الربيبة قد سَئِمَتْ لحدِّ أبعدَ إرهابَ الفلسطينيين وعَجَزَتْ عن مقاومته ؛ فالأولى باعتبارها راعية للثانية ومُرَبّيَة لها ومُحتَضِنَة إيّاها منذ اليوم الأول ، ومُتَأذّية أذى شديدًا في كثير من المواقف من أجل الغرام بها، يجب عليها أن تحارب من قبلها ، وتدافع عن حقها ، وتبيد أعداءَها الفلسطينيين ، وتُذِلَّ العربَ والمسلمين أجمعين ! .([1])

الحاجة إلى مواجهة «أمريكائيل»

اليهود الأمريكيون إسرائيليون أكثر من الإسرائيليين أنفسهم

ليس اليومَ ، ولكنه منذ اليوم الأوّل ، ظلّتْ أمريكا تصنع مع الفلسطينيين والعرب صنيعَ ألدّ الأعداء ، مُتَمَثّلة في إسرائيلَ . ولقد صدق الكتّاب العربُ والمسلمون الذين قالوا: أمريكا دولة صهيونيّة يسكنها مسيحيّون . وقال بعضُ الصحفيين العرب : إنّ هذا العنوانَ لم يستخدمه المسلمون أوّلاً ، وإنما أطلقه أوّلاً ;الأنباء بَسَنْتَ: أسقفُ ;حلوان; و ;المعصرة: بمصر – الذي يُعَدُّ الشخصيّة الثانية في الكنيسة المصريّة بعد البابا ;شنودة: - ومهما كان فإنّ هذا الوصفَ، وصفٌ دقيقٌ وصحيحٌ لأمريكا .

ومن يعلم مدى تأثير اليهود في صناعة القرار الأمريكيّ يعلم بل يتذوّق مدى صحّة ودقة هذا التعبير الذي يختصر رحلة الظلم والعداء المُطلَق التي ظلّتْ تقوم بها أمريكا ضدَّ العرب والفلسطينيين والقضيّة الفلسطينيّة ، وموقفَ الانحياز الكامل والمساندة الفاضحة الذي وقفته من إسرائيل .

وهي حقيقةٌ مكشوفةٌ أضحى العالمُ كلُّه يعرفها اليومَ؛ ولكنّ الشخصيّاتِ البارزةَ حتى غيرَ المسلمة ، التي عاشتْ عن كَثَبٍ تجربة التأثير اليهوديّ على صناعة القرار الأمريكيّ، ظلّت تعترف بالحقيقة، وتُعَرّيْها في الكُتُب والكتابات التي أفردتها للتحليل السياسيّ والحديث عن القضايا العالميّة أو السياسات الأمريكيّة الخارجيّة والداخليّة . ومن هذه الشخصيّات ;بول فيندلي: الذي أكّدَ في كتابه ;من يجرؤ على الكلام؟: :

([1]) فلسطين في انتظار....٤٦٧- ٤٧٥.

«إنّ اليهودَ الأمريكيين الذين يُسَيْطِرُون على مُؤَسَّسَات المال والإعلام في أمريكا، إسرائيليّون أكثرَ من الإسرائيليّين أنفسهم» .

المالُ والإعلامُ هما العمودُ الفقريُّ في السياسة الخارجيّة والداخليّة لدولة ما . بالمال – الذي لولا التقى لقالَ الإنسانُ : ;جَلَّتْ قدرتُه: كما قال الحريريّ – يستطيع الفردُ والجماعةُ أن يُؤَثّرا على الرأي العامّ تأثيرًا لا يقدران عليه بغيره ولا بشقّ الأنفس . إنّ المالَ لاتُنَال به فقط الحاجياتُ أو الكماليّاتُ ، ولا تُعَاشُ به فقط الحياةُ فارهةً مُرَفَّهةً رغيدةً، وإنما يُشْتَرَى به الولاءُ ؛ وتُكْسَبُ به الأصواتُ ؛ ويتمّ به الوصولُ إلى ;الشعبيّة: ؛ ويُوَظَّفُ المالُ لقلب الحقائق ووضع الوثائق ، ولتمهيد الأرضيّة* للتوصّل إلى مراكز النفوذ، وكراسيّ الحكم ، ومنابر التنفيذ ؛ وتُسْتَأْجَرُ به الأقلامُ ، والحناجرُ والحلاقيمُ ؛ ويُصْنَع به ما لا يقبل الحصرَ.

أمّا الإعلامُ ، فإنّه هو الذي أصبح اليومَ الحاكمَ المُسَيْطِرَ، والإمبراطورَ المُسْتَبِدَّ ، والعَاهِلَ المُطْلَقَ الذي لا يحول دون قوله وفعله شيءٌ. إذا تحكّمتْ جماعةٌ أو عصابةٌ في الإعلام ، فمعنى ذلك أنها تحكّمتْ في صِنَاعة القرار في القُطْر الذي تحكّمتْ في إعلامه . فإذا تَحَكَّمَ لوبيٌّ مثلُ اللوبيّ الصهيونيّ في الإعلام في أكبر دولة في العالم، مثل أمريكا ، فإنّه سَيْطرَ على مركز النفوذ العالميّ ، وأصبح يملك المنبرَ الذي يُمْلِي منه إرادتَه على الشعوب والأقوام شاءتْ أو أبتْ ، وغَدَا يمسك بتلابيب صُنَّاع القرار في أمريكا بشكل لا يقدرون على تجاوز إرادته .

من هنا نجد أمريكا لاتتجرأ على الخروج عن إرادة الصهاينة

من هنا نلمس على جميع المُستَوَيات أنّ أمريكا لا تخرج عن إرادة الصَّهَاينَة ودولة إسرائيل ، مهما استَصْرَخَ* العربُ، ومهما استغاث الفلسطينيّون ، ومهما استرحم المسلمون أمريكا بجميع أساليب التأدّب والاستعطاف . فإن ظلّتْ – ولا تزال وستظلُّ – أمريكا تعتبر الضحيَّة جزّارًا والجزّارَ ضحيّة ، فليس في ذلك ما يدعو للعجب .

وإذا كان العربُ يعتبرون – بحقّ – شارونَ رئيسَ وزراء الكيان الصهيونيّ ، سَفَّاحًا جزّارًا مُجْرِمَ حرب ، مُمَثّلا لإرهاب الدولة الصهيونيّة في أبشع صوره ، ليس مستندين في ذلك فقط إلى المجازر الحاليّة ، وإنما كذلك إلى تاريخ هذا الجزّار الماضي المُلطّخ بدماء الفلسطينيين واللبنانيين في ;صبرا: و ;شاتيلا: عام ١٩٨٢م . وقد وصفه كثيرٌ من المُحَلّلين الغربيّين والمسؤولين الأوربيّين أنّ اسمَه مرادفٌ لكلمة ;جزّار: .

إذا كان العربُ يُصَنّفونه هذا التصنيفَ الحقيقيَّ* الذي يطابق واقعَ هذا الرجل المَهين أكثرَ من

المائة في المائة ؛ فإنّه لاغروَ – في الوقت نفسه – أن ينهض الرئيسُ الأمريكيُّ ;بوش: ليُصَرّح أمامَ العالم كلّه بأنّ ;شارونَ: رجلُ سلامٍ ، وليزيد ;بوش: الصليبيّ – باعترافه هو – العربَ احتراقًا واستياءً وسخطًا ، بإعادة مقولته هذه الشنيعة على سمع العالم ، أثناءَ المجازر التي ارْتَكَبَها الإسرائيليّون في ;جنين: بوحشيّة جعلتْ حتى الأعداءَ يعترفون – لأنّهم لم يقدروا على السكوت – بأنّه مأساةٌ إنسانيّةٌ مُرَوِّعَةٌ ، كما قال مساعدُ وزير الخارجيّة الأمريكيّ ;وليم بيرنز: بعد ما زارَ أطلالَ مُخَيَّمَ ;جنين: ؛ وبأنّه ما حَدَثَ هو فظاعاتٌ تفوق كلَّ تصوّر، كما قال ;تيري رود لارسن: مبعوثُ الأمم المُتَّحِدة إلى فلسطين؛ وبأنّ ;مزاعم الديموقراطية التي تتباهى بها إسرائيلُ تتكشّف للعالم بأنّها أكاذيبُ بعدما حَدَثَ في مُخَيَّم جنين من فظائع:؛ وبأنَّ شارونَ مُبَاحُ الدم ؛ فقد قال في صراحة أيّ صراحة المُخْرج الأمريكيُّ اليهوديُّ ;جول داسان: : ;أريد أن أقتل شارونَ .. هذا طموحي .. انظروا ما يجري مع الفلسطينيين .. إنه وضعٌ مُرْعِب: .

صرخة من داخل الحرم: فعلى مبادرة السلام السلامُ

ولقد صدق فضيلةُ الشيخ عبد الرحمن السديس/ حفظه الله ورعاه: إمامُ و خطيبُ الحرم المكيِّ الشريف ، الذي قال في خطبته يومَ الجمعة ٦/صفر ١٤٢٣هـ (١٩/ أبريل ٢٠٠٢م) : ;... فعلى مُبَادَرَاتِ السّلام السلامُ ، مع قوم هذا دَيْدَنُهم عَبْر التأريخ ، وتلك أطماعُهم ومؤامراتُهم: .

ولم يكتف الرئيسُ الأمريكيُّ بهذه المقولة وغيرها وإنّما ردّد مطالبتَه العربَ بمحاربة ;الإرهاب: أي بمحاربة جهود المُقاوَمَة والانتفاضة المباركة التي يقوم بها الشبابُ الفلسطينيُّ والأطفالُ الفلسطينيّون ، علمًا بأن الرئيسَ الأمريكيَّ قد اعتبر جميعَ المُنَظَّمَات الفلسطينيّة التي تقوم بمقاومة اعتداءات الاحتلال البغيض ;إرهابيّة: فأمر بتجميد أرصدتها وإغلاق حساباتها وإزعاج قادتها ونُشَطَائها على جميع الأصعدة .

وقد أفادتِ الأنباءُ الواردةُ عَبْرَ جميع وسائل الإعلام أنّ نائبَ الرئيس الأمريكيّ ;ديك تشيني: اهْتَمَّ بأنَ يطّلِع أثناءَ زيارته لإسرائيلَ على خُطّة الاجتياح الإسرائيليّ الإرهابيّ العدوانيّ على مناطق السلطة الفلسطينيّة ، وأن يبحث مع القادة العسكريين الإسرائيليّين مراحلَ الخطّة المتلاحقة . وقد شَاهَدَ العالمُ أنَّ الرئيسَ الأمريكيَّ يقول في تصريحه : إنّ على إسرائيل الانسحابَ من مناطق السلطة بدون تأخير . ثم يعود ليُطْلِق تصريحًا آخرَ يقول فيه : إنّ انسحابَ القوّات الإسرائيليّة يحتاج إلى وقت؛ حتى لا يكون

عَشْوائيًّا !! .

ويَحْدُثُ بعد ذلك أنّ وزيرَ الخارجيّة الأمريكيّ يزور المنطقة بعد لفٍّ ودَوَرَانٍ ، وفي ختام زيارته يُدْلِي بتصريح جارح لمشاعر العرب والفلسطينيين ؛ فيقول : إنّ إسرائيلَ تواجه ;أعمالاً إرهابيّة: وأنّ أمريكا تسعى لحمايتها . ولا يكتفى الرجلُ بالقول ، وإنما يَقرنه بالفعل؛ فيُسَارع إلى تفقد الجبهة الشماليّة لإسرائيلَ على حدودها مع سوريا ولبنان ؛ لكي يضعَ خطّة لحماية إسرائيلَ من الهجمات الخارجيّة المُحْتَمَلَة من الجارتين ! ؛ بل يسارع إلى زيارة سوريا ولبنان كمبعوث لرئيس الوزراء الإسرائيليّ السقاح ;شارون: لينقل إليهما محاذيرَ التهديدات . ولا يسعه قبل أن يغادر المنطقة إلاّ أن يقول : إنّه يشعر باليأس من عرفات الذي لم يحارب ;الإرهابَ: وإنه لم يستطع الحصولَ على موعد للانسحاب من ;شارون: .

وكلُّ ذلك في الوقت الذي عايش فيه الفلسطينيون إرهابَ الدولة الصهيونيّة ؛ حيث حَصَدَتْ دبّاباتُها أرواحَ الأبرياء ، وهَدَمَتْ فيه جَرّافاتُها البيوتَ على أصحابها، ومُنِعَتْ فِرَقُ الإسعاف المحليَّة والعالميّة من دخول مناطق المجزرة ؛ فبقيت الجُثَثُ تَتَعَفَّن والجَرْحَىٰ يَئِنُّون تحت الأنقاض ويموتون دونما ماءٍ ودواءٍ .

وفي الوقت الذي حَاصَرَتْ فيه القوّاتُ الصهيونيّةُ مكاتبَ الرئيس عرفات واتّخَذَتْه رهينة عَبرَ أكثرَ من ٣٥ يومًا ، وقد أطلقتْ سِرَاحَه منذ أيامٍ، لتُسَاوِمَ به على كثير من الثوابت وتفرض به كثيرًا من الشروط التعجيزيّة .

وذلك موقف ثابت في السياسة الأمريكية

وهذا الانحيازُ الأمريكيُّ السَّافِرُ لإسرائيل، ليس وليدَ اليوم ؛ ولكنّه موقفٌ ثابتٌ في السياسة الأمريكيّة منذ وقت مُبَكّر لاندلاع القضيّة الفلسطينية ؛ فمن الذي لا يعلم أن أمريكا ظلّتْ تحول دون كلّ انتصار حَقّقَتْه أو كادتْ تُحَقّقُه القوّاتُ العربيّةُ في جميع الحروب التي خَاضَهَا العربُ مع إسرائيلَ ، وكذلك دون كلّ انتصار معنويّ أو سياسيّ كاد الطرفُ العربيُّ يَحْظَىٰ به في أيّ جولة من جولات المحادثات أو جولات الضغط على الرأي العامّ العالميّ .

ولعلّ ما يُؤَكّدُ ذلك هو ما أعاد التذكيرَ به رئيسُ الجمهوريّة المصريُّ في حديث له مع رئيس تحرير جريدة ;أخبار اليوم: في الأسبوع الأوّل من صفر الحاليّ ١٤٢٣هـ ، عندما قال تعليقًا على النصر الذي حَقّقه الجيشان المصريُّ والسوريُّ على الكيان الصهيونيّ في حرب أكتوبر عام ١٩٧٣م ، وكان وقتَها قائدًا للقوّات الجويّة المصريّة : ;... إنّ حرصَنا على هذا النصر الذي أذهلَ الدنيا كلّها ،

يتطلّب منّا ألاّ نبالغ في أحلامنا، خاصّة بعد أن فُوْجِئْنَا بتدفق أسلحةٍ أمريكيّةٍ بالغةِ التطوُّر على إسرائيلَ بأطقم قيادتها الأمريكيّة...: .

وهي صورةٌ واحدةٌ من صُوَر الإعانات العسكريّة التي أمَدَّتْ بها أمريكا إسرائيلَ : إحدى ولاياتها . فإذا ما قارَنَ خبيرٌ بالتعاون العسكريّ الأمريكيّ الإسرائيليّ المُكَثَّف المتواصل بل المتزايد مع الأيام ، فإنّه سيجعل العالمَ يكتشف شناعة الجرائم التي ارتكبتْها أمريكا في تحويل هذه الدولة غير الشرعيّة دولة إرهابيّة رقم واحد في العالم ، صَبَّتْ على العرب ذوي الدار من العذاب والويل ما تَقْشَعِرُّ له الجلودُ ، وما لم يعرفه العالمُ إلاّ بعد ما ابتكرتْه وَجَرَّبَتْه هذه الدولةُ الصهيونيّةُ .

أما على صعيد الدعم الماليّ ، فإنّ حجمَ ما دفعتْه الإداراتُ الأمريكيّةُ المتعاقبةُ للكيان الصهيونيّ ، كإعانات نقديّة مُبَاشِرَة وتسهيلات وائتمانات بنكيّة ، بلغتْ منذ عام ١٩٤٨م حتى عام ٢٠٠٠م مبلغ ١٨٠ مِلْيَار دولار .

ولقد أصاب الأستاذُ الدكتورُ صالح عبد العزيز الكريم ، عندما أطلق مُصْطلحَ ;أمريكائيل: (انظر عكاظ ، ص ٨ ، العدد ١٣٠٠٦ ، ١٤٢٣/١/٢٣هـ) تعبيرًا دقيقًا عن ثنائيّ الظلم ، باعتبار إسرائيلَ وأمريكا كيانًا واحدًا . حقًّا ، إنّ العربَ والمسلمينَ يواجهون أمريكائيلَ وليس إسرائيلَ . لم تكنْ إسرائيلُ لتُمَارِس الدَّلالَ والغناج لهذا الحدّ تجاهَ أمريكا ؛ إذْ تأمرها بالانسحاب فورًا ، فلا تنسحب ؛ ولم تكن لتستخفَّ بالعالم العربيّ والعالم الإسلاميّ هذا الاستخفافَ الذي بدأ يُغْضِب الحليمَ، لوكانت هي مُفْرَدَةً غيرَ مُزْدَوجَةٍ بأمريكا . إنّ ماصنعتْه إسرائيلُ وما تصنعه إنما هو صنيعٌ أمريكيٌّ أصلاً ومائةً في المائة

إذا كانتْ إسرائيلُ تجتاح «جنينَ» والضفة الغربيّة ومناطقَ السلطة بالدبّابات المُصَفَّحَة والطائرات وأسْرَاب المُشَاة ، وتُمَارِس فيها التدميرَ والمجازرَ والاعتقالاتِ الواسعة ، وتقطع عن الأهالي الفلسطينيين المُؤَنَ * والدواءَ والمياهَ والكهرباءَ ، ضِمْنَ خُطَّةِ ;الجدار الواقي: ، فإنّ ذلك كلّه إنما تصنعه في الواقع أمريكا ؛ لأن الأسلحة أسلحة أمريكيّة ، والجيشُ مُدَرَّبٌ أمريكيًّا ، والتكنولوجيا العسكريّة كلُّها أمريكيّة، والخُبَرَاءُ العسكريُّون كلُّهم أمريكيّون ؛ ثمّ إنّ الإشارةَ بالنور الأخضر أمريكيّة.

السفاح ليس شارون وحده وإنما السفاح بوش كذلك

ومن هنا عاد الكتابُ العَرَبُ – الذين طالما خافوا قادتَهم وساستَهم – يجرؤون عندما بلغ السيلُ الزُّبَى* وطَمَّ الوادي على القُرَى* على أن يُرَكِّزُوا على تذكير العرب بأنّه يجب عليهم أن لا يُفرِّقُوا بين إسرائيلَ وأمريكا ؛ لأنهم مُوَاجَهُوْن بأمريكائيل ، ويجب أن يعلموا أنّ السفّاحَ ليس ;شارون: وحدَه وإنما

السفّاح كذلك ;بوش:.

وإذا كان الأمرُ كذلك فإنّ السَخَطَ العربيَّ الإسلاميَّ الذي يَنْصَبُّ على الكيان الصهونيّ وفعَلاتِه الشَنْعَاء ، ينبغي أن يَنْصَبَّ على أمريكا أيضًا . لقد حانَ الوقتُ أن نكيل لأمريكا بالكيل الذي نكيله لإسرائيلَ؛ ولكنَّ المصيبة أن أمريكا دخلتْ عقرَ دارنا ، وبَيَّضَتْ وفرَّخَتْ في عقولنا وقلوبنا ، ووَضَعَتْ يَدَيْها على مَقْدَرَاتنا وخَيْرَاتنا وأسواقنا وإمكاناتنا ، وأمسكتْ بزمام الحكم في بلادنا ، وأخذتْ في الواقع برقابنا، وأصبحت مكاتبُ الـ ;سي أني إيه: والـ ;إيف بي آني: جزءًا رئيسًا من إدارتنا الأمنيّة ، بل أصبحتْ هي المسيطرةَ على أجهزة تسليحنا وبرامج تعليمنا ومشاريع سياستنا الخارجيّة والداخليّة ، وصارت مُتَحَكِّمَةً في جميع شؤوننا حتى في رضانا وكرهنا ؛ ومن ثَمَّ عاد حكّامُنا وقادتُنا يخافونها مخافة السَّعالي ؛ لأنّهم يعلمون أنّهم لئن خرجوا على إشارةٍ من إشارات أمريكا ، فإنّهم سيَلْقَوْن عاجلاً أو آجلاً مصيرًا أسودَ إمّا بالاغتيال وإمّا بالإنزال من عروش الحكم وإمّا بأنواع الإذلال .

وأخيرًا إنّ ;من يملك العصا يملك الجاموس: كما يقول المثَلُ الأرديُّ سيظلُّ مبدءًا معمولاً به لدى المُجْتَمَعَات البشريّة ، مهما حَاوَلْنَا أن نُغَيِّره . من هنا ظلّتْ أمريكا تحاول عن تخطيط دقيق تجريدَ العرب والمسلمين من القوّة ، والحيلولة دونهم ؛ حتى لا يتمكّنوا من إعداد القوّة المُسْتَطَاعَة التي تجعلهم يُرْهِبُونَ عدوَّ الله وعدوَّهم. وبالمقابل أصبحتْ أقوى قوّةٍ على وجه الأرض ، ومَكّنَتْ إسرائيلَ أن تُصْبح قوّةً لا تُغَالبُ في المنطقة كلّها ، بل ضمنَ إحدى الدول القويّة المعدودة على الأصابع في العالم ، بل فوقها بالقياس إلى عدد من الاعتبارات .

إنّ المسلمين والعربَ لن يكونوا على مستوى مُوَاجَهَةِ أمريكائيلَ ومن وراءَها إلاّ إذا كسبوا القوّةَ التي تود أمريكائيلُ أن لا يَحْظَوْا بها. وعندها يتحقّق الحلمُ ، وتحصل الأمنيّةُ ، ويتمّ تحريرُ كل أرض سليبة ، بما فيها الأقصى الأسير وفلسطينُ الغصيبة . اللهم ألهمْنا رُشْدَنا ووَفّقنا لما تحبّ وتَرْضَىٰ .

الازدواجية .. من ثوابت السياسة الأمريكية الغربية تجاه العرب والمسلمين ([١])

لسيتِ المرحلةُ الحاليّةُ هي المرّة الأولى أو الأخيرة التي تَتَعَرَّىٰ فيها الازدواجيّةُ الأمريكيّةُ الغربيّةُ في شأن قضايا العرب والمسلمين ؛ ولكنّ ذلك من الثوابت والمُنْطَلَقات التي يَصْدُرُ عنها الغربُ وأمريكا فيما يتعلّق بالعرب والمسلمين ، والتي تتعارض تمامًا مع كل ما يُطَبِّل له ويُنادي به بل يتباهى به أمريكا والغربُ من شعارات الحريّة وقيم الديموقراطيّة ؛ فالغربُ الذي يَفْخَرُ بحمايته لحقوق الإنسان

([١]) كلمة العدد، مجلة «الداعي» ، العدد ٥، السنة ٢٦، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ = يوليو – أغسطس ٢٠٠٢م .

ودفاعه عنها، نجده يضرب مبادئه عُرْضَ الحائط في شأن الحقوق العربيّة والإسلاميّة. وهذه المفارقة الغريبة نلمسها باستمرار وفي جميع المواقف الغربيّة الأمريكيّة . فبينما نرى الغربَ وأمريكا يستمرّان في دعم اليهود الغاصبين لأرض فلسطين الإسلاميّة ، ضدَّ العرب الذين اغتُصِبَتْ ديارُهم ، مُتَغَاضِيَيْن في ذلك عن جميع قرارات المُنَظَّمَات الدوليّة، ومُتَجَاهِلِين مطالبَ المجتمع العالميّ ومشاعرَ العرب والمسلمين ؛ ومُحَاوِلِيْن تمهيدَ السبيل بشكل كامل ؛ حتى يتمكن الصهاينةُ من التهام كامل فلسطينَ ، ويتمَّ تصفيةُ القضيّة على ما يشاؤون ، وإغلاق المِلفّ. ويَتْبَعُ ذلك بروزُ أسلوب المواجهة المسلحة مع العرب ، ويتلوه التهديدُ بشنّ الحروب ضدَّهم ، وإعطاءُ الضوء الأخضر للصهاينة ؛ ليجتاحوا الضفة الغربيّة وقطاعَ غزّة ويقيموا في أراضي فلسطين مجازرَ وحشيّة ضدّ أصحاب الدار ، ويُمَارِسُوا جميعَ أنواع الظلم والبربريّة التي تَقْشَعِرُّ جلودُ الإنسان من مُجَرَّد تصوُّرها .

بينما نرى الغربَ وأمريكا يَصْنَعَان ذلك ، إذ نجد الغربَ يُلازِمُ الصمتَ بل يُؤَيِّد ما يُصْدِره الرئيسُ الأمريكيُّ والرئيسُ الروسيُّ في موسكو من بيان يُؤَكِّد فيه دعمَ موسكو في مُصَادَرَة حقّ الشيشانيين المسلمين في العيش في وطنهم أحرارًا.

ونجد الغربَ وأمريكا يُؤَيِّدان ويُدَعِّمَان انفصالَ تيمور الشرقيّة عن وطنها الأم : إندونيسيا وحصولها على الاستقلال ؛ لأنّ غالبية سكانها مسيْحيّة ، والمسيحيّون أفضلُ البشر في ضوء التحقيق الأمريكيّ الغربيّ ! .

ولم يكتفِ الغربُ وأمريكا بفصلها عن إندونيسيا بدعمٍ مستمرّ منهما ماديّ ومعنويّ، وإنمّا تعاونا معها لتتخذ هذه المناسبة عيدًا سنويًّا تحتفل به ، حتى يتمَّ جرحُ مشاعر المسلمين الإندونيسيين خصوصًا ، ومشاعر المسلمين في العالم عمومًا ؛ ففي يوم الأحد : ١٩/ مايو ٢٠٠٢م (١٤٢٣/٣/٦هـ) احتفلت تيمور الشرقيّة رسميًّا بعيد استقلالها، وأقامت بالمناسبة احتفالاً ضخمًا شاركه مُمَثّلو أكثرَ من ٩٢ دولة في العالم، وعلى رأسهم أمين عام ما يُسَمَّى بالأمم المتحدة كوفي عنان.

إن هذه الثنوية في السياسة الأمريكية تثير استياء المسلمين حقًّا

أليس هذا الموقفُ الثنويُّ الأمريكيُّ الغربيُّ مما يثير استياءَ المسلمين؛ بل يجعلهم يَسْخَطُون على الغرب وأمريكا ويزدادون كراهية لهما .. إنّ ذلك يُمَثّل امتدادًا لممارسات الغرب وأمريكا اللّذيْن لا يَفْتُرَان يلتزمان بالكيل بمكيالين مُخْتَلِفَيْن تمامًا في جميع القضايا التي تُمَاسُّ المسلمين وتُمَاسُّ غيرَهم ؛ فبينما يتحرّك المجتمعُ الدوليُّ لتكريس استقلال عدّة آلاف من البشر في قطعة صغيرة من الأرض نائيةٍ فُصِلت تحت مؤامرة مبيّتة من أرض المسلمين قسرًا، نجده يتجاهل، ويتجاهل نداءاتِ عَشَرات الملايين من المسلمين في فِلَسْطينَ التي يهتم بها المسلمون أجمعون وأكتعون وأبصعون في العالم كلّه ، وقضيّتُها

هي القضيّةُ الأولى لديهم ؛ ولكنَّ الغربَ وأمريكا اللّذيْن يغالبان العالمَ في رأيه وموقفه ، يُبَالِغَان في تجاهل هذه الحقيقة وغيرها . وذلك من الحقائق التي هي واضحةٌ وضوحَ الشمس في كَبد السماء .

وازدواجيّةُ الغرب وأمريكا تجاهَ المسلمين وتجاهَ غيرهم لا تتوقف عند حدّ ، ولا تختصّ مجالاً من مجالات القضايا التي لا تقبل الحصرَ والتي يعملان – الغرب وأمريكا بقيادة الصهيونية العالميّة – على خلقها لتوريط المسلمين في محيطها ، بشكل لايدعهم يُفكّرون في قضايا تعمير الذات ، والاهتمام بالتقدّم التكنولوجيّ والعلميّ ، والصناعيّ والعسكريّ ، فضلاً عن التفرّغ للقيادة والوصاية على العالم ، اللّتَيْن هما حقُّهم وَحْدَهم بصفتهم خيرَ أمة أُخْرِجَتْ للناس .

إنّه ليس يرجع إلى الاتفاق أو الصدفة ما ظلّتْ تمارسه أمريكا ، من الحيلولة دون العرب والمسلمين ودون تحقيق تقدّم على صعيد الأسلحة النوويّة والأسلحة المُتَطوِّرَة الأخرى ، على حين إنّها ظلّتْ تُدَعِّم الكيانَ الصهيونيَّ في المجالات العلميّة والتكنولوجيّة والتسليحيّة ، وعقدت معه أكثرَ من اتفاقيّة لتدعيمها عسكريًّا بشكل لا ينقطع ، حتى أصبح العدوُّ الصهيونيُّ قادرًا على تدمير الدول العربيّة كلّها أكثرَ من مرّة ، لما يملكه من القدرة النوويّة الفتّاكة ، التي لا تملكها إلاّ دولٌ ثلاثٌ أو أربعٌ في العالم كله .

ولكنّ أمريكا يُزْعِجُها دائمًا ما يُوْجَدُ أو لا يُوْجَدُ من الأسلحة الضعيفة البالية لدى دول إسلاميّة وعربيّة ، لا تُسمن ولا تُغنى من جوع، في أيّ حرب مصيريّة بينها وبين الكيان الصهيونيّ ، أو أمريكا والغرب اللّذيْن يقفان وراءَه . وإذا كانت أمريكا ظلّتْ تبدي انزعاجَها دائمًا ، فإنّ خطاب الرئيس الأمريكيّ بوش الذي ألقاه مُؤَخَّرًا في إحدى الأكاديميّات العسكريّة الأمريكيّة ، والذي قال فيه : إننا سندفع هذا الخطرَ الشريرَ عن بلدنا وعن العالم ، ولن نقبل أنظمة ديكتاتوريّة مختلّة قادرةً على تطوير أسلحة الدمار الشامل ، أو تقديمها لجماعات الإرهاب ، ولا يمكن أن نضع ثقتنا بأقوال طُغَاة يُوقّعون معاهداتِ حَظْر انتشار أسلحة الدمار الشامل ، ثم ينتهكونها بشكل منهجيّ . إن الأخطار لم تنتهِ بعدُ ، وأمنُنا يقتضي تَحَلّي جميع الأمريكيين بالعزم . وعلينا أن ننقل المعركة إلى مواقع العدوّ ، وتفكيكِ خُططِه ، ومُوَاجَهَةِ التهديدات الأكثرَ رعبًا .. إنّ خطابَ بوش هذا يُمَثّل قمّة انزعاجه من أيّ سلاح بالٍ يُوْجَدُ لدى أيّ بلد إسلاميّ . وقد صرّحتْ وكالاتُ الأنباء و وسائلُ الإعلام التي تناقلتْ هذا الخطابَ الأمريكيَّ الرئاسيَّ : أنَّ الرئيسَ الأمريكيَّ قصَدَ في تلويحه وتهديده بالحرب ، أقطارًا عربيّة وإسلاميّة ، وأنّه يسعى لنقل ترسانات الأسلحة الأمريكيّة إلى ساحتها تحت شعار الحرب على الإرهاب لإزاحة الديكتاتوريّات والحيلولة بينها وبين امتلاك أسلحة الدمار الشامل أو تقديمها – على حد قوله – لجماعات الإرهاب !.

ازدواجية أمريكا لاتخص ناحية دون ناحية

وازدواجيةُ أمريكا – ومعها الغربُ – في القول والفعل لا تخصُّ ناحيةً من النواحي – كما أسلفنا – ولكنّها تشمل النواحيَ الحياتيَّة كلّها؛ فبينما هي أقامتِ الدنيا ضدَّ «إندونيسيا» باسم حقوق الإنسان وحريّة الممارسات الدينيّة والعقديّة للأقليّة المسيحيّة في تيمورَ الشرقيّة ؛ نجدها تُؤيِّد مصادرةَ حقوق الأقليّات المسلمة في كلِّ مكان ، سواء أكانت الحقوقُ تتعلق بالعبادة أو الأمن أو العيش كمُواطِن له حقوقُه في بلاده كغيره من المواطنين . وقد أسلفنا في هذا الشأن ما تصنعه روسيا من مُصَادَرَة حقّ الإخوة الشيشانيين في الحياة وفي ممارسة الحريّة الدينية وما إلى ذلك .

وليس ما تصنعه الصينُ الشعبيّةُ مع المسلمين هناك ببعيد عن أنظار العالم بما فيه أمريكا وأذنابُه: الدولُ الغربيّةُ ؛ فقد ظلّتْ ولا تزال الصينُ تحشد المسلمين في المُعْتَقَلات والسجون ، وتُعَلّقُهم على أعواد المشانق . وقد ذكرتْ مُنَظَّمَةُ العفو الدوليّةُ في تقريرها السنويّ أنّها أحصتْ صدورَ ٤٠١٥ حكمًا بالإعدام في العام الماضي في الصين ضدَّ المسلمين، وقد تُمَّ تنفذُ ٢٤٦٨ حكمًا ، مشيرةً إلى أنّ الأرقامَ الحقيقيّةَ أكبرُ من ذلك بكثير ؛ لأنّ الصينَ تُغَيِّب دائمًا الأرقامَ الرسميّةَ في هذا الشأن. إنّ أمريكا التي هَدَّدَتْ وتُهَدِّدُ أكثرَ من دولة إسلاميّة بالتدخل في شؤونها – وقد تدخّلت في إندونيسيا وعَمِلتْ على فصل تيمورَ الشرقية منها – بحجّة حرمان أقليّات فيها من ممارسة شعائرها ، هل حَرَّك منها ساكنًا صنيعُ الصين ، التي تعلم أمريكا أنّها قويّةٌ جبّارةٌ ، تقدر على الكيل لها بمثل ما تكيل لها هي إذا حاولتِ الكيلَ . ولتُجَرِّبْ هي هذه الحقيقةَ إذا شاءَتْ .

وإنّ أمريكا طالما تَغَنَّتْ برفع الظلم عن المظلومين والدفاع عن حقوقهم وتأييد وتدعيم النضال المشروع لتحرير الأوطان – وانطلاقًا من هذا المبدإ بل احتماءً بهذا المبدإ ، أيّدتِ الانفصاليين المسيحيين في «تيمور» الشرقيّة لنضالهم ضدَّ إندونيسيا – ولكنّها ضَرَبَتْ مبدأها هذا عُرْضَ الحائط منذ اليوم الأول عمومًا وفيما بعد تحقيق بعض المكاسب العسكريّة البادية للعيان في أفغانستانَ خصوصًا ، في شأن النضال المشروع بنسبة أكثر من ١٠٠٪ الذي يقوم به الفلسطينيون ضدَّ الغاصبين الصهاينة الذين ظلّوا يَعْبَثُون منذ أكثر من الخمسين عامًا بجميع القرارات الدوليّة والمُقْتَرَحَات الأمَميَّة ، ولم يتركوا أيَّ نوع من الظلم إلاّ جَرَّبُوه على الفلسطينيين بشكل لم يعْرفه تاريخُ الإنسانيّة منذ وُجِدَتِ الخليقةُ .

فحتّى كتابة هذه السطور لم تتوقفِ الآلةُ العسكريّةُ الصهيونيّةُ – بكل ما تملكه من أسلحة فتّاكةٍ ذاتِ البوار الشامل والدمار الكامل أمريكيّةِ الصنع – عن ارتكاب المزيد من المجازر الوحشيّة وتدمير

المنازل على رؤوس ساكنيها في المدن والقرى والمُخَيَّمَات الفلسطينيَة .. المجازر التي ذَهَبَ ضحيّتَها المئاتُ من الأطفال الأبرياء والنساء والشيوخ والمُقعَدين . وصاحبتْ هذه المجازرَ حملةٌ مُكَثَّفَةٌ باعتقال الالآف من الشباب الفلسطيني الذي تَعَرَّضَ لكلِّ نوع من عمليّات الإذلال والتعذيب والإساءة . ([11])

القدس الشريف بعد عدوان ١٩٦٧م ([12])

أخذ الإسرائيليّون يتحيّنون الفرصَ ؛ للاستيلاء على القدس العربيّة، وقد تَحَقَّقَ لهم ذلك ، في العدوان الذي شنّته القوّاتُ الإسرئيليّةُ في صباح الخامس من يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ والذي تمكنتْ على أثره من دخول القدس العربيّة ، ومما يُذكر أنه عند وصول وزير الدفاع الإسرائيليّ وقتئذٍ «موشى ديان» إلى بيت المقدس ، بعد يومين فقط من العدوان (أي في ٧ يونيو/ حزيران)، تَوَجَّهَ إلى الحائط الغربيّ ، وهو حائطُ البراق، وهو الذي يزعم الإسرائيليّون أنه حائط المبكى ، وأعاد الصيحة بقوله «الحائطُ لنا».

وأمام هذا العدوان المُفاجئ ، دُعِيَ مجلسُ الأمن إلى الانعقاد بعدَ اندلاع القتال بساعات قلائل . ولسنا بصددَ تَتَبُّع ما دار في مجلس الأمن؛ ولكن ما يَهُمّنَا هو فشل المجلس في أن يتخذ قرارًا لسحب القوّات الإسرائيليّة من الأراضي العربيّة ، وفي مُقدّمَتها القدسُ العربيّةُ ، التي احْتُلّتْ بعد الخامس من يونيو (حزيران) ، ومن ثمّ دعا الاتحادُ السوفيتيُّ لعقد دورة طارئة لتصفية العدوان الإسرائيليّ على البلدان العربية.

وقد عُقِدت هذه الدورةُ في السابعَ عَشَرَ من نفس الشهر (يونيو/ حزيران) ، وبينما القضيّةُ الفلسطينيّةُ ما زالت مطروحة أمام الهيئة الدوليّة، قامت القوّاتُ الإسرائيليّةُ بمهاجمة سكّان القدس بوحشيّة وطُرِدُوا من ديارهم ؛ لكي تختلقَ الأسسَ والمُبَرّرات لإعلان القدس عاصمة لإسرائيل ، وفي نفس اليوم (١٧يونيو/حزيران) الساعة الرابعة صباحًا ، أمرت السلطاتُ العسكريّةُ الإسرئيليّةُ سكّانَ الحيّ القديم ، وسكّانَ المنازل المحيطة به ، بوجوب إخلائها ومغادرة المكان خلالَ أربع و عشرين ساعة ، وقد سَوَّتِ الجَرّافاتُ بالأرض القسمَ القريبَ من حائط البرّاق ، بما فيه من المساجد أو الجوامع ، يُقدَّر عددُ العائلات التي شُرِّدت من القدس وأصبحتْ بلا مأوى بأربعمائة عائلة تقريبًا.

([11]) فلسطين في انتظار....٤٩٢ـ ٥٠٩.

([12]) مقال مُقتبَسٌ من كتاب «القدسُ الشريف حقائقُ التاريخ وآفاقُ المُستقبَل» ، لمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد علي حلة، ط ١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، إصدار: رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

وفاجأتْ إسرائيلُ العالمَ في ٢٨ من نفس الشهر (يونيو/حزيران) بقرار ضمِّ القدس العربيّة إلى القدس المحتلّة ، تحت شعار إعادة توحيد القدس.

وإذا كان العالمُ قد انتابتْه الدهشةُ ، من الإعلان الإسرائيليّ بضمِّ القدس العربيّة فإن هيئته الدولية (سواء كانت الجمعية العامة أو مجلس الأمن) ، قد أخفقتْ في ردع الحكومة الإسرائيليّة للامتثال لقراراتها .

قرارات دوليّة لا تُنفّذ

فقد تقدّمتْ باكستانُ – عَقِبَ عدوان يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧م – بمشروع قرارٍ ، وافقتْ عليه الجمعيّةُ العامّةُ للأمم المتحدة، نَصَّ على ما يأتي :

« إنَّ الجمعيّة العامّة ، إذ تُعْرب عن قلقِها العميق على الوضع السائد في القدس ، نتيجة الإجراءات التي اتّخذتْها إسرائيلُ ، لتغيير وضع هذه المدينة:

١- تعتبر أنّ هذه الإجراءات باطلة .

٢- تدعو إسرائيلَ إلى إبطال جميع الإجراءات التي اتّخذتْها حتى الآن ، كما تدعوها أن تكفّ من الآنَ فصاعدًا عن القيام بأيّ عملٍ من شأنه أن يُغَيِّر وضعَ القدس .

٣- نطلب من الأمين العامّ أن يُقدّم تقريرًا إلى الجمعيّة العامّة وإلى مجلس الأمن عن الوضع وعن تنفيذ هذا القرار في مدّةٍ أقصاها أسبوعٌ من تاريخ الموافقة على هذا القرار ، الذي صَدَرَ في ٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧م.

وبعد أسبوع واحد (أي في ١٢/ يوليو/ تموز) عادت الجمعيّةُ واستأنفتْ جلساتِها ، لتستمع إلى تقرير الأمين العامّ حولَ الوضع في القدس ، الذي كان خلاصتُه أنّ إسرائيلَ لم تمتثلْ لتطبيق القرار المذكور (رقم ٢٢٥٣ في ٥ يوليو/ تموز سنة ١٩٦٧م)، القاضي بإبطال كلّ ما من شأنه أن يُغَيِّر وضعَ القدس.

ولذا قدّمَتْ باكستان في نفس اليوم (١٢ يوليو / تموز) مشروع قرار، تَضَمَّنَ تأكيدَ القرار المتعلق بالقدس ، ودعوةَ الجمعيّة العامّة لمجلس الأمن أن تضمن تنفيذ هذا القرار .

وتمّتْ مناقشةُ المشروع ، وتَمَّ التصويتُ عليه، وأقرّتْه الجمعيّةُ العامّةُ ، وصَدَرَ تحت رقم ٢٢٥٤ ، بتاريخ ١٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧م، وكان نصُّه كما يلي :

« إنّ الجمعيّة العامّة إذ تُذكّر بقرارها رقم ٢٢٥٤ ، بتاريخ ٤ يوليو (تموز) سنة ١٩٦٧م، واستلامَها تقريرَ الأمين العامّ ، تأخذ علمًا بأسف وقلق عميقين ، بعدم امتثال إسرائيلَ للقرار رقم ٢٢٥٣

١- تستنكر فشلَ إسرائيلَ لتنفيذ قرار الجمعيّة العامّة رقم ٢٢٥٣ .

٢- تُؤكّدُ دعوتَها لإسرائيلَ في ذلك القرار ، لإبطال جميع الإجراءات المأخوذة ، والامتناع من الآن فصاعدًا عن القيام بأيّ عمل ، يُؤدّي إلى تغيير وضع القدس .

٣- تطلب من الأمين العامّ أن يرفع تقريرًا إلى مجلس الأمن والجمعيّة العامّة ، عن الوضع وعن تنفيذ هذا القرار.

وفورَ إعلان هذا القرار (رقم ٢٢٥٤) ، صَرّحَ أبا إيبان Abba Eban وزيرُ خارجيّة إسرائيلَ في ١٦ من نفس الشهر (يوليو / تموز) ، أنّ إسرائيلَ سوف تمضي قُدُمًا في إجراءات ضمّ القدس العربيّة والقرى المحيطة بها، حتى لو صَوّتَتْ جميعُ الدول الأعضاء في الأمم المتحدة ضدَّ هذه الإجراءات.

ومضتِ السلطاتُ الإسرائيليّة في تأكيد دعواهم بشأن الأماكن المُقدّسَة في القدس والخليل ، ولذا فقد عَيّنَ الأمينُ العامُّ (أو ثانت) مبعوثًا شخصيًا هو السفير أرنستو تالمان A. Thalman (سويسريّ) ، في مهمة لتَقصّي الحقائق في مدينة القدس ، وتنفيذ قرارات الجمعيّة العامّة (أرقام ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤) ، وقدّمَ تالمان تقريرَه إلى الأمين العامّ، ويُلاحِظ بعد دراسته ما يلي :

١- إنّ تصريحات المسؤولين الإسرائيليين ، ودعاوي الشخصيّات اليهوديّة ، والخطط المُعَدّة لمنطقة (الهيكل)، كان لها آثارٌ مُقلِقة ومُفزِعَة.

٢- إنّ السكانَ المسلمين صَعِقُوا من المُمَارَسَات الإسرائيليّة التي تنتهك قدسيّة الحُرُمَات والمزارات الإسلاميّة ، وإنّ زيارةَ الحاخام الأكبر للجيش الإسرائيليّ مع مرافقيه للحرم الشريف ، وقيامهم بالصلاة في منطقته ، هي بمثابة استفزاز لمشاعرهم، كما أنّ الإسرائيليين يأتون بتصرّفات شاذة ، لا تتوافق مع التقاليد العربيّة والإسلاميّة .

٣- إنّ الأماكن المُقدّسَة المسيحيّة لم تنجُ من عبث السلطات الإسرائيليّة؛ حيث جرى تدنيسُ المزارات والمُمتَلكَات الدينيّة والمقابر على جبل صهيونَ ، وشكا المسيحيّون العربُ من السلوك الشائن وغير المناسب للإسرائيليين أثناءَ زيارتهم للأماكن المسيحيّة ، وإن مَنْشَأ ذلك انفرادُ إسرائيلَ بالنظرة الأحَادِيّة إلى طبيعة القدس .

٤- إنّ إسرائيلَ تعتبر أن عمليّة ضمّ القدس مسألة لا رجوعَ عنها، أمّا فيما يتعلق برعاية الحقوق العربيّة والإسلاميّة والمسيحيّة أيضًا في الأماكن المُقدّسَة ، فهي مسألة ترفض إسرائيلُ المناقشة حولَ ضمانها في الوقت الحاضر ، وإن قُبِلتْ ذلك مستقبلاً.

وقد عَرَضَ الأمينُ العامُّ تقريرَه على الجمعية العامة، الذي تضمن أيضًا تقرير مبعوثه (تالمان) ، وأكّدَ الأمينُ العامُّ أنّ إسرائيلَ تقوم فعلاً باتخاذ جميع الخُطوَات لتضع القدسَ العربيّة تحتَ إدارتها ، وأنّ السُّلطات الإسرائيليّة أعلنتْ بأنَّ ضمَّ القدس عملٌ لا يمكن الرجوعُ عنه، وغيرُ قابل للمُفاوَضَة.

ومما يُذكَرُ في هذا المجال ، أنَّ موقفَ السُّلطات الإسرائيليّة هذا أعْطى للأحزاب الدينيّة وحاخامات إسرائيلَ وبعض شرائح المجتمع ، فرصة للمُزَايَدَة والدَّعَاوي ، أكثرَ ممّا كانت عليه من قبلُ ، حتّى أن «ليفي أشكول» أثار غَضَبَ هذه الطائفة ، عندما أعلن في ٤ أغسطس (آب) سنة ١٩٦٧م، أنه لن يَسْمَحَ بوضع حواجزَ بين الرجال والنساء عند حائط (المبكى)، كما يُفعَل في المعابد اليهوديّة التقليديّة ، وأفصَحَ (أشكول) في هذا الصدد ، عن رأيه «باعتبار حائط (المبكى) موقعًا تاريخيًّا ، وليس مزارًا يهوديًّا مُقدَّسًا.» ([١٣])

وعلى كلِّ حال ، فقد راحتِ السُّلطاتُ الإسرائيليّةُ تَنْتَهكُ قدسيّة الأماكن المُقدَّسَة الإسلاميّة والمسيحيّة ، وصارتْ أعمالُ الإرهاب تَعْمَلُ على التقدّم في تغيير سريع للوضع الديموجرافي (السكاني) المنشود، وفي تغيير أوضاع امتلاك الأراضي، ورفضت دائمًا القبولَ ببرنامج اللاجئين نتيجة عدوان سنة ١٩٦٧م، ولم تُخْفِ إسرائيلُ خُططَها ، لاجتذاب مئاتِ الألوف من المهاجرين ، لتوطينهم في القدس ، في محاولة منها لتحقيق هدف مُزْدَوج :

- سياسيّ لتهويد سكان المدينة كليًا .

- عسكريّ لتطويق القدس الشريف بُمْستَوطنَاتٍ ومَبَانٍ على شكل الحُصُون ، شَحَنَتْ فيها أكثرَ الإسرائيليين تطرفًا .

القرار ٢٤٢

وأمامَ هذا الموقف المُتَشَدِّد والعدوانيّ للسلطات الإسرائيليّة ، من رفض قرارات الأمم المتحدة (أرقام ٢٢٥٣ و ٢٢٥٤)، ظَهَرَتْ اتجاهاتٌ قويّةٌ في عالمنا العربيّ والإسلاميّ ، بضرورة تحرير القدس العربيّة ، واستخدام مختلف الوسائل المُتَاحَة ، تبدأ من مُنَاشَدَة هيئة الأمم المتحدة لإجبار إسرائيلَ على تنفيذ القرارات الدوليّة ، مرورًا بخروج مسيرة إسلاميّة سلميّة إلى القدس، وانتهاءً باستخدام القوّة إذا لزمَ الأمرُ.

ومن ثَمَّ ، أعلن الرئيسُ الأمريكيُّ «جونسون»، عن مباديء خمسة ضروريّة لإحلال السلام في المنطقة العربيّة ، وعندما استُؤْنِفَتْ مناقشاتُ الأمم المتحدة في أواخر أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩٦٧م، أيَّدَتِ الولاياتُ المتحدةُ الأمريكيّةُ مشروعًا يقضي بـ «انسحاب قوّات مُسلّحة من أراض

([١٣]) الأهرام : ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٦٨م، نقلاً عن : وكالة الأسوشيتبرس.

مُحتَلّة» ، وكان الغموضُ مقصودًا ، وصَدَرَ في ٢٢ نوفمبر (تشرين ثان) سنة ١٩٦٧م قرارُ الأمم المتحدة رقم ٢٤٢، والذي نَصَّ على «انسحاب قوّات مُسلّحَة إسرائيليّة من أراض مُحتَلّة في النزاع الأخير (عدوان سنة ١٩٦٧م) ، وإنهاء دعاوي الحرب كافة ، واحترام السيادة والتكافل والاستقلال السياسيّ لكل دولة في المنطقة ، وحقّها في العيش في سلام داخلَ حدود آمنة ومُعْتَرَفٍ بها ، وحُرَّة من التهديدات وإعمال القوّة».

ولكنَّ السلطاتِ الإسرائيليّة ضَرَبَتْ – كعادتها – بالقرار الدولي عُرْضَ الحائط ، وأعلنتْ رئيسة وزراء إسرائيلَ (جولدا مائير) «أنّ إسرائيلَ لا يمكن أن تُكَرِّر ما فعلته في عام ١٩٥٧م، فلن نتنازل عن شيء ، ولن نتحرّك خطوةً إلى الوراء ، لقد دُفِنَتْ حدودُ ٤ يونيو (حزيران) ، كما دُفِنَتْ حدودُ تقسيم سنة ١٩٤٧م».

وهكذا بدا واضحًا مع نهاية عام ١٩٦٧م، أنّ الأوضاعَ في القدس الشريف دخلتْ مرحلة جديدةً ، أخذت أحداثُها مُنْحَنًى خطيرًا، ليس فقط لإصرار إسرائيلَ على ضمّ القدس العربيّة ، وما فيها من أماكن مُقَدَّسَة إسلاميّة ومسيحيّة ، بل ومحاولاتها المستمرة لتغيير الوضع السكانيّ لهذه المدينة المُقَدَّسَة ، وأعمال القمع الذي مَارَسَتْه تلك السلطاتُ ضدَّ السكان المدنيين، وانتهاكاتها المُتَعَمَّدَة للمُقَدَّسَات ، مما أفسح المجالَ لقيام المُتَطَرِّفِين الإسرائيليين بمزيد من أعمال التخريب لتلك المُقَدَّسَات .([١٤])

([١٤]) فلسطين في انتظار....٥٤٣- ٥٥٢

حصارُ « غزة » وموقف القادة والساسة (١٥)

منذ نحو عام كامل لاتزال الدولة الصهيونيّة تفرض على أهالي « غزة » البالغ عددُهم المليونَ ونصفَ المليون حصارًا شاملاً، لم يرحم طفلاً أو شابًا أوشيخًا أو امرأةً ، يُشَكّل أفظعَ صور العنصريّة والتمييز بشاعة ؛ حيث لم يُؤَدّ فقط إلى انعدام الوقود الذي أوقفَ الحياةَ في هذه البقعة الجغرافيّة التي لاتتجاوز الثلاث مائة والخمسين كلومترًا مُرَبَّعًا ، وإنّما جعل أهاليها كلّهم يعيشون مُحَاصَرين من كل جانب غيرَ مسموح لهم بالخروج منها وغيرَ مسموح بدخول المواد الغذائيّة إليهم . وإلى جانب ذلك مُسْتَهْدَفُون كلَّ وقت بقصف ونيران واجتياح من قبل جيش الاحتلال الصهيونيّ .

إنّ العالم الذي يدّعي التنوّر والتحضّر والتركيز على حقوق الإنسان ؛ بل على حقوق كلّ حيوان ، يقف اليوم مُتَفرّجًا على هذه المشاهد الفظيعة ، خاليًا من كلّ إحساس ، عاجزًا عن التفاعل مع هذه الانتهاكات الصارخة تجاه آدميّة شعب بأكمله لم يرتكب ذنبًا سوى أنّه مسلم عربي يودّ مُصرًّا أن يُتَاحَ له أن يعيش في بيته الذي شُرِّد منه ظلمًا واستكبارًا. وكأنّ الإنسان لايستحق أن يعيش إذا كان مسلمًا ؛ لأن المسلم لاحقوقَ له في شريعة الحضارة الأوربيّة والدستور الغربيّ الصهيوني الصليبيّ !.

الصمت الدوليّ تجاه الحصار الشامل الطويل

على قطاع « غزة » يجدر بكل نوع من الاستنكار

الصمتُ الدوليّ إزاءَ الحصار الطويل المفروض على قطاع « غزة » من قبل دولة الكيان الصهيونيّ غير الشرعيّة ، يجدر بكل نوع من الاستنكار والشجب والتنديد . الرأي الدوليّ الذي يُقِيم الدنيا ، فلا يَدَعُها تقعُد تجاهَ أيّ معاناة خفيفة تصيب الصهاينة أو الصليبيين أو شريحة من الشرائح غير المسلمة نشاهده يلازم الصمتَ المُتَعَمَّد تجاهَ هذا الظلم الفادح الذي يمارسه الاحتلالُ الصهيوني تجاهَ الفلسطينيين ، ليس من عام أو عامين ؛ ولكن منذ ستّين سنة متتابعة ؛ ولكن هذا الحصارَ الذي فرضته دولةُ الكيان على قطاع « غزة » فاق أنواعَ الظلم التي

(١٥) كلمة العدد ، مجلة الداعي ، العدد ٦ ، السنة ٣٢، جمادى الثانية ١٤٢٩هـ = يونيو ٢٠٠٨م .

ارتكبها الظلمةُ عَبْرَ التاريخ البشريّ ؛ حيث إنّه مصحوب بالقصف وفتح النيران والاجتياح المتّصل ، وإنّه مُؤَدٍّ إلى إبادة بطيئة لشعب بأكمله. وقد صدق القياديّ البارز بحركة «حماس» الدكتور «خليل الحية» عندما قال: «إنّ معاناة المواطنين بسبب الحصار باتت أشدَّ من معاناتهم بفعل المحرقة والجرائم الصهيونية ، وإن الأوضاع في قطاع «غزّة» أصبحت خانقة ومأسويّة وكارثية ، ولم تَعُدِ الأمورُ قابلة للاحتمال أكثر من ذلك ، مُعْتَبِرًا أنّ ما يجري في «غزة» هو حكم بالإعدام البطيء ، لأكثر من مليون ونصف المليون مُوَاطِن فلسطيني مُحَاصَرين خلف أسوار أكبر سجنٍ عرفه التاريخُ».

وقد أوضحت وزارة الصحة الفلسطينية أن أكثر من ٧١٪ من أطفال «غزة» يعانون من جرّاء الحصار سوءَ التغذية ونقصًا حادًّا في مُكَوِّنَات الغذاء الأساسيّ ، مُشِيرَةً إلى أنّ أكثر من ٣٥ طفلاً قضوا من بين ضحايا الحصار . كما أشارت إلى أنّ الحصار أدّىٰ إلى وفاة ١٣٤ حالة حتى الآن ، وتَسبَّبَ في نقص الدواء وتعطّل الأجهزة الطبيّة في المُسْتَشْفَيَات .

وأفادتِ المصادرُ أنّ القطاعات الأخرى أيضًا تعطّلت ؛ فالمصانعُ كلُّها متوقفة أو مشلولة. وبلغت نسبةُ البطالة أكثر من ٨٠٪ وبلغت نسبةُ الفقر ٦٥٪ . وصَرَّحَ مدير العمليّات في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) «جون كنج» أن الحصارَ جعل وضعَ السجناء في العالم أفضلَ من وضع سكان قطاع «غزّة» . وقد أكدت «الأونروا» يومَ السبت ٢٠٠٨/٤/١٢م (١٤٢٩/٤/٥هـ) أن سكان قطاع «غزّة» مازالوا يواجهون نقصًا حادًّا في الموادّ الأساسيّة والغذائيّة وموادّ الطاقة نتيجة للحصار المفروض منذ يوليو ٢٠٠٧م (منتصف جمادى الثانية ١٤٢٨هـ) وقالت الوكالة – الأونروا – إنّ مُعَدَّل دخول الشاحنات للقطاع انخفض من ١٠ آلاف شاحنة في شهر مارس ٢٠٠٨م إلى ٢٤٠٠ شاحنة في شهر أبريل ٢٠٠٨م . وقال تقرير لمنظمة الصحة العالميّة : إن ٧٠٪ من أطفال القطاع دون سنّ ١٦ سنة يعانون مرضَ «فقرالدم» و «الأنيميا» . وقالت تقارير أخرى: إن هناك ٢٠ ألف طفل مريض لايتمكنون من تلقي وجباتهم الطبيّة بسبب انقطاع الوقود. وأكدت اللجنةُ الشعبيّةُ الفلسطينيةُ لمواجهة الحصار أن ٨٥٪ من وسائل النقل والمركبات الخاصّة والعموميّة و ٦٠٪ من سيّارات الإسعاف و ٧٥٪ من مُعَدَّات البلديّة متوقفة تمامًا عن العمل . كما أن محطات معالجة مياه الصرف الصحيّ متوقفة ، ومياه المجاري والصرف بدأت بالتسرّب للمياه الجوفيّة، وتتسبّب في تلوّثها .

إنّ إسرائيل وسيدتها أمريكا – ومن معهما من الاتحاد الأوربي وغيره – كانتا قد راهنتا على

أنّ الشعب الفلسطينيّ المُحَاصَر الذي يعيش هذه المعاناةَ سينقضّ على «حماس» وقادتها وأنه ستنشب في قطاع «غزة» خصوصًا ومنطقة سكنى الفلسطينيين عمومًا حرب أهليّة شديدة ، وأن الشعب الفلسطيني سيُحَمِّل مسؤولية معاناته قادةَ «حماس» وحدهم ، مُعْتَبرًا إيّاهم مصدرَ الويلات من أجل سياستهم وإصرارهم على الصدام مع إسرائيل ومع عصابة محمود عباس العلمانيّ العامل لحساب الكيان الصهيوني وأمريكا أكثر من عمله لحساب الشعب الفلسطينيّ .

ولكن توهّمات كل من الكيان الصهيوني وأمريكا لم تتحق لحدّ الآن ، وبقي الشعب الفلسطيني صامدًا في وجه الاحتلال رغم كل المعاناة و وقائع الظلم الفظيع ؛ لأنه تَعَوَّدَ تفهّمَ الوضع ووُفّقَ أن يُمَيِّزَ بين الصديق والعدوّ، ولم يلتبس عليه الأمرُ كما التبس على كثير من الشعوب المسلمة والعربيّة التي تُعَالُ صبرًا عاجلاً؛ لأنها لاتعرف الصديقَ من العدوّ .

المؤسفُ هو موقف القادة والساسة العرب

ولكنّ المؤسف هو موقفُ كثير من القادة والساسة العرب والمسلمين الذين جُلُّهم يُشَكّلون مصيبة كبرى للشعوب الإسلاميّة ؛ فكثيرٌ منهم لايهمُّهم معاناةُ الشعب الفلسطيني كما لايهمُّهم معاناةُ شعوبهم المسلمة والعربيّة . ويزيدنا أسفًا وقلقًا عندما نشاهد كثيرًا منهم يتسابقون إلى معانقة ومصافحة ومباركة القادة الصهاينة ومسؤولي دولة الكيان الصهيوني في الوقت الذي تجري فيه فصولُ هذه الجريمة البشعة ضدّ الإخوة الفلسطينيين ؛ فقد استقبلت دولةُ قطر – الإسلاميّة العربيّة – بترحاب حارّ وزيرةَ الخارجيّة الصهيونيّة «تسفني ليفني» ، وخلال كلمتها في «منتدى الدوحة الثامن للديموقراطية والتنمية والتجارة الحرة» مساءَ الاثنين: ٢٠٠٨/٤/١٤م (١٤٢٩/٤/٧هـ) شنّتِ الوزيرةُ الصهيونيّةُ هجومًا لاذعًا على من وصفتهم بـ«المتطرفين الذين يُهَدِّدُون عمليّة السلام» وكلٌّ يعلم أن المعنيَّ لدى الوزيرة بالمتطرفين هم قادة المقاومة الفلسطينية المشروعة التي تسعى لتحرير فلسطين واسترداد العزّ السليب.

كما التقاها وزيرُ الخارجية العُمَاني «يوسف بن علوي» في أوّل لقاء علنيّ بين مسؤول صهيوني ومسؤول عماني .

ولاشكّ أن هذه اللقاءات العربية الصهيونية في مثل هذا الوقت الذي تعيش فيه غزةُ هذه المعاناةَ الحِصَاريّة التي فرضها عليها الكيان الصهيوني ، يُكَوِّن عاملاً قويًّا لتشديد الصهاينة الحصارَ على الشعب الفلسطيني ولتقتيله بشكل أشنع من هذا الذي هو قائم الآن، وممارسة المزيد من المجازر الوحشية بحق الإخوة الأشقاء في الدين والمصير .

واللقاءاتُ العربيةُ مع الصهاينة ظلت مُكَثَّفة منذ وقت طويل ، بعضُها تَعَرَّتْ ، وبعضها بقيت طيَّ الخفاء ؛ ولكن الوقت كشف عنها الغطاءَ عندما أراد الله أن يفضح الخَوَنَة العملاءَ الفاقدين الغيرةَ والحميّة .

ولو أن القادة جميعًا وقفوا موقفًا مُوَحَّدًا ، ومَجُّوا في وجوه القادة الصهاينة والصليبيين المتصهينين الواقفين اليومَ بجانبهم – الصهاينة – بكل ما عندهم من غال ورخيص ، لما حَصَلَ ما حَصَلَ عبر هذا التاريخ الطويل من الظلم المنقطع النظير تجاه الشعب الفلسطيني وترابه ، وأرضه وعرضه ، وأرواحه وممتلكاته .

إنّ موقف هؤلاء القادة المسلمين الفاقدين للغيرة الدينية والحميّة القومية والنخوة العربية ، هو الذي ظلّ يزيد الشعبَ الفلسطينيَّ معاناةً ، وهو الذي جعل العدوَّ الصهيوني اللعين يفعل معه الأفاعيلَ .

موقفُ الأمم المتحدة ومنظماتُ حقوق الإنسان المزعومة وموقف الأمريكان والغرب الصليبي المتواطئ مع الصهاينة لايؤلم الشعبَ الفلسطينيّ والشعوبَ الإسلاميّة بمثل ما يؤلِمُها موقفُ هؤلاء القادة العرب والمسلمين المحسوبين على الإسلام المنتمين إلى التراب العربيّ الإسلاميّ .

غيرُ المسلمين من القادة والساسة مهما فسقوا وفجروا وتنكروا لدينهم وطينهم وبني جلدتهم لايبلغون في الوقاحة وفقد الحياء والتجرد من كلّ غيرة قومية ودينية هذا الحدَّ الذي يبلغه القادةُ والساسة العرب والمسلمون إلاّ من رحم منهم ربُّك .

تلك هي نقطةُ الضعف الكبرى الأساسيّة في جسد الأمّة الإسلاميّة، ومن أجلها تُرْمَىٰ بما تُرْمَىٰ به من كل جانب ؛ ومن هنا يصطلح على محاربتها الأعداء بمن فيهم العدوُّ الصهيونيّ اللعين الذي لم تقبله أرضٌ في دنيا الله ، حتى أسكنته المؤامرة الغربيّة العالميّة في فلسطين: الأرض العربية الإسلاميّة .

إن الشعب الفلسطيني بعد كل هذه المعاناة سينتصر بإذن الله ، إذا لاذ بالصبر، وصَمَدَ في وجه الظلم والاحتلال ، وتغلب على كيد العدوّ في داخل الصفّ قبل خارجه . كما ظلّ يتغلب عليه لحدّ اليوم « إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَالَّذِيْنَ هُمْ مُحْسِنُونَ »[1].

* * *

[1] النمل/١٢٨.